المركز القومى للترجمة

مريم المجدلية

تأليف:
موريس ميتيرلينك

ترجمة وتقديم:
مصطفى كامل خليفة

مراجعة:
منى صفوت



2229



روائع الدراما العالمية



مريم المجدلية

تأليف
موريس ميترلينك
ترجمة وتقديم
مصطفى كامل خليفة

"مريم المجدلية" المرأة المخطئة التي تابت بعد أن رأت الناصرى، أى يسوع المسيح، وسمعت حديثه الحلو الذى تغلغل فى أعماقها وشرح صدرها للهدى، بعد أن كانت تشعر بأنها تائهة تبحث عن نفسها.

كان ذلك فى عهد الحاكم الرومانى "بيلاطس البنطى"، الذى كان يضطهد اليهود والمسيحيين الذين آمنوا بالمسيح، والذين كان يُطلق عليهم اسم جماعة الناصرى؛ وبطبيعة الحال كانت المجدلية من بينهم.

وقد تناول ميتيرلينك هذه الأحداث بعبقرية فريدة من نوعها، وصور أدبية وفلسفية رائعة، ومشاهد مأساوية - على الرغم من هولها - إلا أن أجمل ما فيها أنها تظل عالقة بخيال المشاهد لزمن طويل بعد رؤيتها.

تصميم الغلاف : نرڤانا

مريم المجدلية

(مسرحية)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة: أحمد سخسوخ

- العدد: 2229
- مريم المجدلية
- موريس ميترلينك
- مصطفى كامل خليفة
- منى صفوت
- اللغة: الفرنسية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة مسرحية:
Marie Magdeleine
Piéce en trios Actes
Par: Maurice Maeterlinck

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

مريم المجدلية

مسرحية

تـأليف: موريس ميتيرلينك
ترجمة: مصطفى كامل خليفة
مراجعة: منى صفوت



2015

لينك، موريس ميتين.
مريم المجدلية: (مسرحية)/ موريس ميتين لينك؛ ترجمة وتقديم: مصطفى كامل خليفة؛ مراجعة: منى صفوت. ـ القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٥.
١٢٠ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٨ ٠١٣٦ ٩٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ المسرحيات البلجيكية.
أ ـ خليفة، مصطفى كامل. (مترجم ومقدم)
ب ـ صفوت، منى. (مراجع)
ج ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٤٧٢٠/ ٢٠١٥
I. S. B. N 978 - 977- 92 - 0136 - 8
ديوى٨٣٩,٢١٢

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي، وتعريفه بها. والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

تقديم

فى البداية، حرى بنا قبل الاسترسال فى قصة مريم المجدلية، أن نوضح أنه كان يوجد أربع سيدات باسم "مريم"، بخلاف ستنا مريم العذراء، أم المسيح (عليه السلام) التى عاشت فى بلدة الناصرة، حيث بشرها الملاك جبريل بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم.

وقد كرمها المسيحيون بإقامة الكنائس فى جميع الأقطار، وتنافس الفنانون فى إبداع أيقوناتها، والمسلمون يحفونها بالإجلال والتوقير ويدعونها "ستنا مريم"، أما الأخريات فهن:

١- مريم سالومى: زوجة زبيدى وأم الرسولين يعقوب ويوحنا.

٢ - مريم كلوبا: شقيقة مريم العذراء ووقفت معها على الجلجثة أو الجمجمة، وهى القمة التى - وفقا - إلى الإنجيل - صُلب عليها المسيح (عليه السلام) (إنجيل متّى، ٢٧، ٣٢ - ٣٥، إنجيل يوحنا، ١٩، ١٧- ١٨)..

٣ - مريم المجدلية: من بلدة مجدل، خاطئة وتابت، وتبعت يسوع، ووقفت مع أمه أسفل الصليب، وكانت تقيم فى قرية بيت عنيا، وهى موضوع هذه المسرحية.

٤ - مريم المصرية: ناسكة، كانت خاطئة وتابت، وعاشت فى الزهد فى الصحراء لمدة أربعين عاما.

نبذة عن الزمان والمكان؛ حيث كانت تعيش مريم المجدلية:

هى أصلا من بلدة مجدل فى فلسطين جنوب أورشليم القدس، والتى استولى عليها اليهود عنوة بعد نزوح العرب عنها إلى غزة، وكان الحاكم الرومانى لليهود فى ذلك الوقت بيلاطس البنطى، يضطهدهم، وكان الرومان بصفة عامة لا يؤمنون بشريعة موسى - عليه السلام، ولا يزالون يعتقدون فى تعدد الآلهة والميتولوجية الإغريقية.

فى هذا الوقت ظهرت دعوة المسيح (عليه السلام) وكان يعرف باسم الناصرى أو الجليلى نسبة إلى بلدة الناصرة، والجليل، كذلك كان يعرف بصفة المعلم والمنقذ، وقد آمن به كثير من اليهود بعد أن رأوا معجزاته، ومن بينهم مريم المجدلية، وكانت كلماته الشهيرة: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر" هى السبب فى إنقاذها من بين براثن الغوغاء الذين كانوا يريدون أن يفتكوا بها عندما أرادت أن تقف معهم لتستمع إلى حديث الناصرى الذى أعجبها وأثر فيها وتغلغل إلى أعماقها، وهى الغانية الخاطئة، ومن هنا كانت بداية نزوعها إلى التوبة، وكانت هذه العبارة هى محور المسرحية.

كان اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى (عليه السلام)، يضطهدون هؤلاء الذين آمنوا به، يحتقرونهم لأنهم كانوا بسطاء وفقراء ومساكين، ومنهم المرضى، والعجزة والمتسولون والمعوقون، حتى إنهم كانوا يحيكون ضدهم المؤامرات والدسائس، كذلك ضد الناصرى، ويؤلبوا عليه الحاكم الرومانى وكبير الكهنة، وينكرون عليه معجزاته.

وننوه إلى أنه بطبيعة الحال لم تكن الرسالة المحمدية قد نزلت بعد.

يمكن تقسيم حياة مريم المجدلية إلى ثلاث مراحل:

١ – ما قبل التوبة.

٢ – التوبة.

٣ – ما بعد التوبة.

١ – ما قبل التوبة:

إن مريم المجدلية لم تكن بارعة الجمال فحسب، بل كانت أيضا تتمتع بإرادة قوية، كما أنها كانت على درجة كبيرة من الثراء، تحيا حياة الأميرات فى رفاهية وبذخ، إذ تقيم فى قصر فخم، به الكثير من العبيد والخدم والحشم، مؤثث بالأثاث الفاخر، وترتدى أفخر أنواع الثياب المرصعة بالجواهر، واللآلئ والأحجار الكريمة، وعلى معرفة وثيقة ببعض الضباط الرومان، على سبيل المثال: الضابط فيروس، ومن جيرانها الحكيم سيلاتوس الذى استقبلها فى قصره مع أصدقائه من بينهم فيروس، وأبيوس وغيرهما. ولم تكن قابلت فيروس منذ فترة طويلة.

كان فيروس يمثل لها سندا كبيرا، فهى كانت تعبر عن حالتها بأنها كانت تائهة، لا تعرف حقيقة نفسها، ولكنها مع فيروس استطاعت أن تكتشف نفسها، إذ كانت تبحث عن الاطمئنان والسعادة، وقد أذرفت كثيرا من الدمع لتعثر عليهما، وهى القوية التى لم تذرف دمعة واحدة من قبل، فى أحلك حالاتها ضيقا وشدة.

كانت فى وقت الشدة تلجأ إلى فيروس، فهو بالنسبة لها يمثل حصن الأمان لأنها تعتقد أنه الوحيد الذى يمكنه أن يحميها ويشعرها بالإطمئنان.

على الرغم من أنها لم تكن قد تابت بعد، فإنها كانت على يقين بأن لها أجلا مكتوبا، وأنها ستموت، ودليل ذلك، كانت تتحدث مع فيروس عن مزهريتين سرقتا من عندها، وكانت تحتفظ فيهما بسنابل عطر الناردين الهندى الغالى الثمين، ليحاط به جسدها وباللفائف الجنائزية عندما توافيها منيتها.

كانت فى أعماق نفسها تشعر بالمهانة، وتصف نفسها بأنها "كانت تعيش فى أكاذيب يستفيد منها الآخرون"، وأنها لكى تشعر بأن لها قيمة كبيرة، فقد قررت أن تبيع نفسها "بمهارة أكثر، وأغلى مما سبق".

أما فيروس، فكان يواسيها دائما، ويشعرها بقيمتها، يقول لها: "أنت دائما تقدرين نفسك أقل مما أقدرك أنا"، وتحاولين دائما "أن تحطى من قدرك فى نظرى، ولن تتوصلى إلى ذلك أبدا"، وهو لا يرى فيما تقوله هى "إلا ثورة شرعية لنفس جريحة فى أعماقها، تتماسك فى وجه الألم"، ولكنها كانت تشعر بأنها ليست نفسا متماسكة، "بل هى نفس وجدت نفسها".

وكان لسيلانوس جار يدعى "سمعان الأبرص" وكان يستضيف عنده الناصرى، وكانت جماعة الناصرى التى أحبته وأحبها، لإيمانها به وبمعجزاته، معظم أفرادها من المرضى وذوى العاهات، وذات مرة، كانت هذه الجماعة تحيط بالناصرى خارج منزل سمعان، فى حديقة منزله، وكانت هذه الحالة أول ما ظهرت، كانت فى قرية بيت عنيا، وكان هذا المنزل يجاور قصر سيلانوس، حيث يوجد فيروس وأبيوس وفيليوس ومريم المجدلية، وقد دفعهم فضولهم إلى أن يستمعوا إلى ما يقوله الناصرى، وكانت المجدلية أشدهم رغبة فى رؤيته والاستماع إلى ما يقول.

بدأ يتحدث إليهم، جذبهم جميعا بصوته الذى لا مثيل له، صوت فيه قوة وحلاوة، فيه نشوة وطلاوة، فيه شوق وفيه نور وحب، بعيد ولكنه قريب من القلوب، وماثل فى أعماق كل النفوس.

كان هذا الصوت هو الذى جذب مريم المجدلية وشد انتباهها، اشتاقت إلى أن ترى صاحبه، وكانت مندفعة نحوه، مشدودة إليه بلا مقاومة، متجهة إلى نهاية الحديقة، لتراه وتسمعه عن قرب، مصرة على الذهاب إليه على الرغم من معارضة الآخرين خوفا عليها من هذا الحشد الهائل الذى يحيط به.

عندما شاهدوها، ارتفعت أصواتهم وهمهمتهم، وأطلقوا العنان لشتائمهم وسبابهم لها بألفاظ نابية، ونادوا برجمها حتى الموت.

فجأة دوت صيحة هائلة بهذا الصوت العجيب، خيم الصمت على الجميع، وهدوء وذهول هائلان وارتفع الصوت الرائع يقول: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجرا...". فما هي إلا لحظات حتى اختفى الحشد الهائل شيئا فشيئا. يتقدم ڤيروس ليسند المجدلية، فرفضت بشدة أي مساعدة منه أو من الآخرين وظلت تحدق ببصرها إلى الأمام غير مبالية بأي شيء، وترتقي درجات سلم الشرفة بصعوبة، وهم لا يفهمون ما حدث لها، وكان هذا الحدث مؤشرا لبداية توبتها.

ب – التوبة:

ثلاثة أيام مضت بعد هذه الواقعة، ومريم المجدلية وحيدة في قصرها، خائفة، قلقة، تنتظر مجيء ڤيروس، وكانت فريسة لصراع نفسي تجهل مصدره، وتسأل نفسها عما إذا كان حقيقيا أن جمالها هو الذي "لم يجلب عليها سوى الحسرات والنفور"، وهل يمكن لهذا الجمال أن يحقق لها "السعادة التي هي من حق كل امرأة، بل من حق كل إنسان أن يتمناها في الحياة"، وذلك ما صرحت به إلى ڤيروس عندما جاءها واستقبلته بشوق جارف ولهفة شديدة، وارتمت بين أحضانه، كما أنها شكت له عن أن غرورها لم يكن "سوى التاج المشين لعارها! وبثت إليه بشكواها بأنها لم تكن تصبو إلى "سعادة مستحيلة".

تغيرت المجدلية دون أن تفطن إلى ذلك، فصوتها وروحها ليسا كما كانا، ولاحظ ڤيروس هذا التغيير الذي اعتراها، وتقول له "أنا لم أعد تلك التي كانت، أنا لم أكن أعرف نفسي، لأنني عثرت عليها...." أنا التي لم تبك في أشد الحالات سوءا، اليوم أنتحب لأني سأكون سعيدة..." وذلك دون أن تدرك بحق أن السبب

لقاءها واستماعها إلى الناصرى، وأنه هو الذى أنقذها من جماعته التى كادت أن تفتك بها.

ولكن هناك شيء مجهول فى أعماقها، دفعها فى هذه الظروف إلى أن تسأل فيروس عن الناصرى لأنها كانت تتوق إلى رؤيته وسماع صوته، وعلى الرغم من ذلك، طلبت من فيروس أن يسرعا بمغادرة هذا البلد؛ لأنها تريد أن تهرب من المجهول إلى مكان آخر تجد فيه السعادة الحقيقية.

ولكن المفاجأة الكبرى التى أدهشتها أشد دهشة، عندما علمت أن فيروس مكلف باعتقال الناصرى وجماعته وأن كلُ ذلك سيتم أمامها، فعاتبت فيروس على ذلك، وطلبت منه ألا يكون الأداة التى تسلمه إلى ألد أعدائه، وهو الذى أنقذها من موت محقق، أنقذ حياة المرأة التى يحبها، لذلك يجب عليه أن يدين له بحياتها، علاوة على أنه برىء ولم يقترف أى جرم إلا أنه ينبئ عن سعادة لا تعرفها.

ويقولها عن نفسها أنها لم تره إلا للحظة واحدة بين أشجار الزيتون، فشعرت بأن البهجة قد استيقظت فى نفسها، كأنه نوع من النور قد استولى على فكرها، بالرغم من أنه لم يثبت نظره على عينيها سوى لحظة واحدة، وهذه تكفيها من أجل حياتها الباقية.

"كنت على يقين أنه تعرف علىّ، دون أن يرانى من قبل... كان يبدو لى أنه اختارنى بكل اهتمام وقوة إلى الأبد...". هذه الإحساسات وهذه الاختلاجات تدل دلالة قاطعة على أن نور الهداية قد تغلغل إلى أعماقها، وأنه شرح صدرها للتوبة، فتحققت توبتها.

وتفاجأ المجدلية للمرة الثانية، بمراوغته ومحاولة تملصه من طلبها، وتخليه عنها لأنها رفضت عرضه بأن تكون له وحده، وأنه لو أنقذ الناصرى، فسوف

يفقدها، وأنه سوف يحرمه من حُبه وسعادته معها، وفى الوقت نفسه سيتعرض هو شخصيا إما للموت، أو للنفى، عقابا من القيصر.

لم يكتف ڤيروس بذلك، بل ألّب عليها بعض من يحبونها ويحبون الناصرى، ممن شفاهم من أمراضهم ومن المقربين والمقربات إلى مريم المجدلية، وحاول إقناعهم بأنه يريد إنقاذ الناصرى ولكن المجدلية هى التى لا تريد ذلك، لو قالت لى: نعم، سأنقذه، وإن قالت لى: كلا، فسوف يحكم عليه بالموت.

كانت مريم المجدلية من هول المفاجأة لتصرفات ڤيروس حيالها، والتى لم تكن تتوقعها منه، قد أصابها الذهول والوجوم، فلم تتحرك من مكانها، والتزمت الصمت، لا تتكلم ولا تسمع، نظراتها ثابتة، تحدق أمامها وتنظر إلى الفراغ فى حالة ذهول!... لا ترى أحدا ولا تسمع أحدا، وهكذا، لم تتمكن من إنقاذه نتيجة للموقف الدنىء الذى اتخذه ڤيروس حيالها، علاوة على أن بعض الذين شفاهم الناصرى وهم من بين الذين يحبونه ويحبهم، قد تخلوا عنه، وتم تنفيذ الحكم فيه وصُلب. (إنجيل متى، ٢٧ ، ٣٣- ٣٥) - (إنجيل يوحنا، ١٩، ١٧ -١٨).

وجاء بإنجيل مرقس (١٦، ٩ - ١١، أن يسوع ظهر لمريم المجدلية بعد أن قام باكرا فى اليوم الأول من الأسبوع الأول، وهى التى طرد منها سبعة شياطين، فذهبت إلى الآخرين وبشرتهم، بعد أن كانوا يبكون وينوحون.

هذا بإيجاز ما كانت عليه حالة مريم المجدلية قبل التوبة وبعدها.

من الآراء التى جاءت بمجلة "النقد La Critique" بصدد هذه المسرحية ومؤلفها: (مسرحية مريم المجدلية التى قدمت لأول مرة فى ١٨ مارس ١٩١٣ على مسرح "كازينو مينيسيبال" بمدينة نيس، وقدمت مرة أخرى على مسرح "لوشاتيليه" بباريس فى ٢٨ مايو من العام نفسه، إن مجرد ذكر اسم مؤلفها يثير الإعجاب والاحترام: "موريس ميتيرلينك" كما يبعث فى الذاكرة أجمل ما كتب

مثل: كنز المتواضعين، والحكمة والقدر، وحياة النحل، وذكاء الزهور، والتى لها تأثير نبيل، كما تذكرنا بمسرحيات كثيرة لها جمال ينبثق من بساطة التعبير، والفكر العميق، مثل: مونا فانا، والمتطفلة، والأميرة مالين، والطائر الأزرق، وغيرها. وجميعها من بين أمثلة الازدهار الدرامى المعاصر، تمثل صورا وأنواعا جديدة يفوح منها أريج عطر جذاب....

أما مسرحية "مريم المجدلية" (التى حققت نجاحا فى نيس، قبل أن تلاقى الاستهجان فى باريس، فهى أولا تختلف شكلا وموضوعا عن المسرحيات التى ذكرناها أيضا، حيث يتجمع فيها كل ما جاء فى المسرحيات السابقة من أفكار).

كما كتب أيضا أحد النقاد بالمجلة: (أن هذه المسرحية تتضمن فلسفة ميتيرلينك، وترتبط بتطور فكره، فهى تعتبر حلقة الوصل بين حلقات سلسلة أعمَاله الطويلة التى تربط بين محاولاته الأولى وبين آخر أعماله.

مسرحية مريم المجدلية لا تبتعد كثيرا عما نجده فى مسرحية أخرى مثل الإحساس بالخوف من الغموض، والرهبة من المجهول، والشعور المسبق بالألم، والشقاء والحزن الذى لا يمكن تجنبه، والقلق الذى لا حدود له "من المأساوية اليومية".

ميتيرلينك يهتم أيضا بالحياة الروحية، كما يهتم بالحياة الأخلاقية والفضيلة، وهما يشكلان عنده نظرية السعادة التى هى فى رأيه، لكى يكون الإنسان سعيدا، فعليه ألأ يشغل باله بأن يكون سعيدا أو لا يكون، بل يجب أن يتعود على أن يقنع بالقليل الذى يحصل عليه، وأن يمنح ما حققه كل ما يستحقه من تقدير، فذلك هو الالتحام بالحياة).

ويقول م. أدولف أديريه: "أن مسرحية ميتيرلينك تبين لنا توبة مريم المجدلية، وأن المأساة تكمن فى نفس الخاطئة التى فازت بالعفو، ناضلت وقاومت ودافعت

عن نفسها. هكذا يدور الحدث كما جاء بالإنجيل... ويوضح البساطة والسذاجة والطيبة فى نفوس أهالى الجليل..."

عبقرية ميتيرلينك:

تتجلى عبقرية ميتيرلينك فيما تضمنته الفصول الثلاثة لمسرحية مريم المجدلية من معايير جمالية أدبية فى كل مشهد وفى كل فصل، وبالمقابل، يوجد أيضا معايير مأساوية، لأنه برهن على أنه يستطيع أن يحقق التأثيرات القوية المصاحبة لمشاهد المسرحية. ومن ثم تبدو عبقريته واضحة فى أنه لم يظهر شخصية المسيح على خشبة المسرح، وأنه بذلك زادت من تبجيل المشهد وتعظيمه وروعته بهذا الحضور الغائب...

ومن عبقريته أيضا إرسال ليعازر الذى ردت إليه الحياة، والذى أرسله يسوع إلى مريم المجدلية ليُبلغها رغبته فى رؤيتها، كأن المؤلف يفكر فى إرسال الموت إلى الجمال ليصحبه إلى الناصرى، أى إلى الهداية.

إن من أجمل ما يوجد فى أعمال ميتيرلينك هو ما يظل عالقا بالذهن لفترة طويلة بعد مشاهدة المسرحية، مثل معجزة إحياء ليعازر.

يقول أحد النقاد: "استطاع ميتيرلينك بموهبته المتميزة، وبتأثير إلهامه الأدبى أن يصنع معجزة رائعة: لقد أحيا حكاية ليعازر، هذا الفصل من الإنجيل، بالنسبة لنا، ليس حبرًا على ورق، بل هو حقيقة مخيفة، حدث كأننا نحن أنفسنا قد شاهدناه".

وتتحدث المجلة أيضا عن عملية الإخراج المسرحى فتصفها بأنها موفقة ومقنعة، كذلك الديكور كان مناسبا فى الفصول الثلاثة لمجاراة الواقع، وفى الاستراحات بين الفصول كانت تقدم موسيقى "باخ" الدينية، وكان أوركسترا كولون هو الذى يقدمها حتى يشعر المتفرجون بأنهم فى "جو" دينى مناسب للمسرحية.

ومما هو جدير بالذكر أن الممثلة التى أدت دور مريم المجدلية، هى السيدة "جورجيت لوبلان ميتيرلينك" وقد أدته ببراعة فائقة، وبإخلاص فى التعبير أدى إلى التأثير على عواطف المتفرجين. والجدير بالذكر أيضا أنها قضت سنوات طويلة مع ميتيرلينك وأعانته كثيرا على ما حققه من نجاح.

فلسفة ميتيرلينك:

من خلال مسرحية مريم المجدلية، نستطيع أن نستخلص بإيجاز فلسفة ميتيرلينك؛ فهو لا يسرد أحداث المسرحية لمجرد السرد فقط، بل ليوضح آراءه الفلسفية من خلال المواقف المختلفة التى تتعرض لها شخصيات المسرحية، كوفاة ابن أو ابنة أو فراق صديق حميم، فهذه المواقف فى رأيه تحتاج إلى حكمة وتبصر، فإذا كان الحزن على ابن أو ابنة، صغار أو كبار، أو صديق تفقده أو يفارقك، فلا جدوى من هذا الحزن، ولا ينبغى أن نبالغ أو نفرط فيه، لأنه لن يعيد إلينا من فقدناه أو من فارقناه، نظرا إلى أننا فى هذه الحياة مُسيرون لا مُخيرون، ومصيرنا وقدرنا جميعا مشترك، والموت حق علينا جميعا، وأجل مكتوب. لكن المهم هو انه يجب أن نتغلب على الحزن ولا نستسلم له، فالمصير واحد، والبؤس والسعادة – كما ذكرنا سابقا – جوهريان بالنسبة إلى الزمن، وإن داما مهما داما، فإن هذه الديمومة قصيرة، سواء كانت بالنسبة إلى طفل وليد أو لشيخ طاعن فى السن، فكلاهما يستويان أمام الموت الذى ليس له موعد محدد.

جاءت هذه الفلسفة على لسان سيلانوس الذى يتسم بالحكمة والرأى الصائب عند مواساته لصديقهُ لونجينوس الذى فقد ابنته الصغيرة.

المترجم



مريم المجدلية

مقدمة

"لقد اقتبست من مسرحية الشاعر الألمانى "بول هايز Paul Heyse- Maria Von Magdala" أى مريم المجدلية، فكرة موقفين من المواقف الرئيسية من أجل مسرحيتى، هذان الموقفان هما: فى نهاية الفصل الأول، تدخل المسيح (عليه السلام) لصد الجمع الغفير الغاضب عن مريم المجدلية، بهذه الكلمات التى سُمعت من خلف المسرح: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر"، وفى الفصل الثالث موقف الاختيار؛ حيث تجد الآثمة الكبيرة نفسها فيه لتنقذ أو لتفقد المسيح (عليه السلام)، حسب موافقتها أو رفضها تسليم نفسها إلى أحد الرومانيين.

قبل أن أبدأ فى العمل، كنت قد طلبت من الشاعر الألمانى الجليل الذى أكن له كل الاحترام أن يوافق على إضفاء تفاصيل وتطوير هذين الموقفين الغامضين فى مسرحيته، أكثر مما هما عليه فى مسرحيتى، حيث لم يكونا سوى مجرد خطوط مبدئية، وقد عرضت عليه الاعتراف بحقوقه بالطريقة التى يجدها عادلة ومنصفة. وكان رده على طلبى الموقر هو الرفض، وأنه ليؤسفنى أن أقول ذلك، يفتقد الحد الأدنى للياقة بل وقد تصل حدته إلى التهديد.

ومنذئذ، كان لزاما علىّ أن أعتبر الحديث الإنجيلى المذكور أعلاه ملكا للجميع، وأن البديل الذى أتحدث عنه هو من البدائل التى نلتقى بها أكثر من مرة فى الأدب المسرحى، ورأيت أنه من الأفضل شرعا أن أستخدم هذا البديل على نحو أرجح مما كنت أتصوره تماما فى العام نفسه الذى نشرت فيه (Maria Von Magdala ماريا ڤون مجدلا: مريم المجدلية) دون إمكان التعرف عليها فى الفصل الرابع لچويزيل "Joyzelle".

سأضيف أنه فيما خلا أساس هذه المواقف وفيما يتعلق بكل ما يخص موضوع هذه المسرحية من حيث حبكة الحدث، الشخصيات، السمات الرئيسية، التغييرات المفاجئة التى تؤثر على سير الأحداث، الوسط أو البيئة، فإن مسرحيتينا لا يوجد بينهما أى شيء مشترك إطلاقا، لا سؤال، ولا جواب، ولا حتى جملة واحدة متماثلة توجد فى هذه أو تلك. ويعنى ذلك، أننى أشعر بالسعادة لأظهر للمعلم العجوز امتنانى بأسلوب ساحر إلى حد ما، والذى لكونه غير مقصود، فإنه يظل مع ذلك بعفويته جديرا بأن يُعد رفيع المكانة.

(المؤلف)

الشخصيات

لوقيوس فيروس (محام عسكرى)	Lucius Vérus (Tribun Militaire)
أنيوس سيلانوس، وجاره سمعان الأبرص	Annoeus Silanus, et Son Voisin Simon Le-Lépreux.
أبيوس...	Appius
قيتيوس	Coetius
ليعازر	Lazar
چوزيف داريماتى	Joseph d'Arimathie
نيقوديموس	Nicodéme
مريم المجدلية	Marie- Magdeleine
مارتا، أخت ليعازر	Marthe, Socur de Lazard
مريم..	Marie
مريم – قليوفاس	Marie- Cléophas
مريم – سالومى	Marie- Salomé
باتيماوس	Bartimée

بعض العمى، مجموعة من العجزة والمشوهين، وذوى العاهات، بعض المرضى والمتشردين، والناجين من المرضى بفضل معجزة، قديسات أخريات، متسولات وعاهرات، وغيرهم..

الفصلان الأول والثانى، تجرى أحداثهما فى قرية بيت عنيا.

الفصل الثالث تجرى أحداثه فى أورشليم القدس..

الفصل الأول

حدائق أنيوس سيلانوس، فى بيت عنيا.. شرفة رومانية. مقاعد رخامية، أروقة بأعمدة، تماثيل. فى الوسط حوض بنافورة.. حجيرات مزينة بالخضرة، أشجار برتقال ورند فى أوان من الحجر، درابزين على اليمين وآخر على اليسار يطلان على الوادى.. درابزين فى الخلف، مفتوح فى منتصفه، ليسمح بالمرور إلى ممر مزين بأشجار الزينة المختلفة تحده التماثيل من الجانبين، وينتهى إلى سياج من نبات الرند يغلق الحديقة.

المشهد الأول

يدخل أنيوس سيلانوس ولوقيوس فيروس

سـيلانـوس : ها هو فخر ضيعتى الصغيرة: شرفتى التى تذكرنى بالضيعة التى كنت أمتلكها فى "رينيسيت" والتى كانت ذروة ما تهفو إليه نفسى وقمة ما تصبو إليه أمنياتى.
ها هى أشجارى من البرتقال، والسرو، والرند الوردى. هناك حوض السمك، الرواق بصور الخالدين، بينهم صورة "مينيرفا".

التى عُثر عليها فى أنطاكية. (مشيرا إلى اليسار، منظر طبيعى) ومن هنا، المنظر الذى لا مثيل له المطل على الوادى حيث يُشرق فصل الربيع. نحن شبه معلقين فى الفضاء.. تأمل منحدرات بيت عنيا وشقائق النعمان التى تنحدر عليها. يقال إن الأرض تتعلق بأشجار الزيتون عند سفحها. هنا، أتذوق فى هدوء مزايا التقدم فى السن لمن يعرف كيف يتمتع بالأيام الخوالى، لأن الشباب يخفقون فى التمتع بما لديهم من ألوان السعادة حين لا يأخذون فى اعتبارهم سوى ما هو متاح منها أمام أعينهم...

فيروس : وبعد، ها هى الأشجار، والماء، والخضرة!... لقد تلاشوا من ذاكرتى منذ أن وصلت إلى هذه الصحراء الحجرية والتى تسمى باليهودية... ولكن كيف تأتى ذلك، يا أستاذى الطبيب، كيف حددت إقامتك بالقرب من هذه المدينة المقفرة والكئيبة، وحيث الأرض مخيفة، والناس قبحاء، أشراس، منافقون، أشرار، أقذار وهمجيون؟...

سيلانوس : كما تعلم، أنى كنت قد تبعت النائب فاليريوس جراتوس إلى مدينة قيصرية، ثم عدت إلى روما حيث كنت أنت تلميذى المخلص والمفضل لبعض الوقت. ولكن فيما بعد خجلت من أن أعلم حكمة كانت تأكيداتها تبدو لى مشكوكا فى صحتها ويتعاظم هذا الشك كلما ازددت تأكيدا عليها بيقين أكبر. ثم تم استدعائى إلى هنا، فى هذه المنطقة الموحشة، اليهودية، بناء على أمر أغرب من العجب. إبان إقامتى الأولى، كنت قد بدأت دراسة كتب اليهود المقدسة، إنها وإن كانت مشوهة ودموية، فنجد فيها كذلك حكايات جميلة والجهود المبكرة لحكمة بدائية تتسم بتميزها فى بعض الأحيان. ولم يمل منها اهتمامى بها بعد.

فيروس : فى الواقع، صديقنا أبيوس الذى قابلته فى أنطاكية كان قد

حدثنى عن دراساتك وحبك المفاجئ والغامض للكتب اليهودية القديمة...

سيلانوس : لن يتأخر فى الحضور...

فيروس : من؟... أبيوس؟... أهو إذن فى القدس؟...

سيلانوس : أكنت تجهل ذلك؟... بل أنت شخصيا، منذ كم يوم أنت فى البلد؟... رسالتك أول أمس لم تذكر لى ذلك قط...

فيروس : منذ ما يقرب من أسبوع، أردت أن أخصك بساعتى الأولى من وقت الفراغ. لقد غادرت أنطاكية لأرافق النائب بيلاطس البنطى الذى يخشى حدوث الاضطرابات، إلى أورشليم القدس. من المحتمل أنه سوف يحتاج إلى مساندة من جنودى السابقين....

سيلانوس : أبيوس المهم والضخم والذى حديثه مثل عاداته المتشردة، يجمع بين الأصدقاء الأكثر بعدا عن بعضهم، حدثنى عنك كما حدثك عنى، وأخبرنى أنه عندما كان فى أنطاكية، سعد بلقائك، وكنت تبدو فريسة لحب كبير بائس...

فيروس : أى حب؟...

سيلانوس : كيف يمكن لأجمل المحامين العسكريين فى مركزه المرموق، أن يكون له أكثر من قصة حب ويخفق فيها؟.... الأمر يتعلق بامرأة من هذه المناطق، امرأة جليلية (*) إذا لم أكن مخطئا.....

فيروس : مريم المجدلية؟... تحدث عنها معك؟.... أين هى؟ أنا لم أرها مرة أخرى، لقد غادرت أنطاكية فجأة وفقدت أثرها....

سيلانوس : ولكن لماذا لم تكن طيبة القلب من ناحيتك قط؟... كان أبيوس قد أكد لى أنها، حقيقة، تحتقر رجال هذا البلد، ولكنها لم تظهر قط أية عداوة تجاه فرسان الرومان....

(*) نسبة إلى بلدة الجليل بفلسطين، وأيضا: الجليلى، يقصد به المسيح - عليه السلام، (المنهل، ص ٥٦٥). المترجم

فـــيـــروس : هـذا سـر من هـذه الأسـرار الخـاصـة بـالمرأة الـتى لا تـتيح لـنـا واجباتنا بوصفنا ضباطا، الوقت لكى نستوضحها. لم يكن باديا عليها أنها تكن لى أى إحساس بالكراهية، على الأقل الكراهية التى كانت تود أن تظهرها لى لم تكن خالصة، بل امتزجت برقة شديدة... وإن كان يشوبها نوع من الخوف الغامض، كان يجعلها تتجنب حضورى بطريقة عنيفة... فضلا عن ذلك، فهى مؤخرا، قد ابتليت بألم شديد، على ما يبدو، وقيل لى إنها تأسَّت منه آنفا أكثر من مرة...

سـيلانـوس : لست أدرى، وكل ذلك لا يبدو لى محبطا، مع ذلك، لماذا نخوض فى موضوعات يشوبها الشجن فيما خلقه الله من أجل البهجة؟... إذن أبيوس كان يريد منى أن أساعدك، بما لدى من نصائح حكيمة، لأشفيك من بلية تسبب لك الحزن بلا داع. ولكن بداية، أتحبها بقدر ما يؤكده أبيوس، الذى كثيرا ما يكون كلامه مبالغا فيه وطائشا؟....

فـــيـــروس : إنى اشتهيتها، ولا أزال أشتهيها كما لم أشته امرأة من قبل...

سـيلانـوس : أنت تتحدث بتعقل، مع عدم إقصاء، الشهوة عن الحب منذ البداية، ومع ذلك، أنا أتفهم الأمر. لا جرم(*) أنها أجمل من كثير من النساء اللاتى أعجبت بهن فى حياتى.

فـــيـــروس : كيف؟... هل رأيتها؟... هى إذن فى أورشليم؟...

سـيلانـوس : إنها أقرب منا عن أورشليم.. التى تقع على بعد خمسة عشر ستادا(**) من بيت عنيا... (يجذبه قليلا نحو اليمين) اقترب قليلاً من هذا الرواق وانظر إلى هناك، فى أعماق الوادى... ماذا ترى هناك؟...

(*) حقيقة أو من المؤكد. (المترجم)

(**) مقياس مسافة. (المترجم)

فــــيـــــروس : أرى أشجار الزيتون، ممرات، مقابر... علاوة على زخارف عند مدخل قصور أو معابد، أعمدة، وأشجار السرو... يحسب المرء نفسه فى ضواحي روما... ولكنى لا أستطيع تحديد أو إدراك ما ترمى إليه...

ســـيلانـــوس : ذلك هيرودس الكبير، إنه طراز الرجل المجنون الثائر ولكنه بناء وقد قام بتزيين هذا الوادى بمبانٍ جميلة رومانية الطراز أكثر من مبانى روما نفسها... ولكن، انظر إلى منتصف الجانب الثانى إلى اليسار من هذه الشجيرات الثلاث، شجرات السرو، على بعد أربع أو خمس ستادات من هنا... هل استكشفت إحدى أجمل الفيلات المشيدة من الرخام؟...

فـــيـــــروس : تلك التى تتقدمها درجات عريضة بيضاء تؤدى إلى صف من الأعمدة على شكل نصف دائرى حيث تنتصب بعض التماثيل؟...

ســـيلانـــوس : إنها هناك حيث تنعزل بعيدا عن اليهود...

فـــيـــــروس : مريم المجدلية؟... فى غياهب هذه الوحشة، وبعيدة إلى هذا المدى عن المدينة؟...

ســـيلانـــوس : إنها تهرب، كما قالت لى، من العنت اليهودى، الازدحام الشديد فى أورشليم والروائح المنفرة التى تتضاعف قوتها عند قرب حلول عيد الفصح...

فـــيـــــروس : أنت تراها إذن؟... هل تحدثت إليها؟...

ســـيلانـــوس : إن أبيوس الطيب يعلم أن رؤية امرأة شابة جميلة أمر تستمتع به عيونى دون أى مجازفة، ولذا لم يثنها قط عن أن تذهب إلى قصر رجل كبير السن، مسالم ولا يُشكل أى تهديد.

فـــيـــــروس : ماذا قالت؟... وما تأثير تلك المقابلة عليك؟...

ســـيلانـــوس : كانت ترتدى ثوبا يبدو مرصعا باللآلئ، ومعطفا من نسيج أورجوانى اللون من مدينة صور، بحبات من حجر السفير،

وتتزين بالحلى التى يُثقلها قليلاً البذخ الشرقى. أما شعرها فأفترض أنه لو كان مسترسلاً، يغطى بغلالة ذهبية غير شفافة حوض المرمر هذا الذى فى وسطه نافورة ماء من حجر السماق...

فيروس : إنى أتحدث عن ذكائها، عن طبعها... فأنت لا تخطئه أبدا، فهى ليست عاهرة مألوفة... بل لديها مفاتن أخرى أفضل تولد شعورا أعمق بالحب.

سيلانوس : أنا لم أنتبه سوى إلى جمالها الحقيقى الذى يريح الناظر إليها... مع ذلك، سوف نحكم على ما تقوله بعد قليل، فهى لن تتوانى عن الحضور...

فيروس : هل سوف تأتى إلى هنا؟... ولكن هل تعرف أنها ستجدنى هنا عندك؟...

سيلانوس : بكل تأكيد. لقد بدا لى أن هذا اللقاء سيكون أكثر فاعلية لمواساة الملك أكثر من تأثير النصائح الحكيمة التى يريدها أبيوس...

فيروس : ولكن هى؟... ماذا قالت حين علمت أن...

سيلانوس : ابتسمت بلطافة متأملة وتهتز من الفرحة... المدعُوون الآخرون سيكونون ممن لا غنى عنهم... أبيوس وفيليوس، زميليك فى الدراسة فى "رينيست"... أتعشم أن يصحبا معهما صديقنا الحزين لونچينوس الذى فقد، منذ ثلاثة أسابيع طفلة صغيرة تبلغ من العمر عامين، سأحاول أن أواسيه، بأسباب طيبة ومقنعة، لألم، من المؤكد أنه متباين مع ما فقده.

سيكون لدينا من بين الوجبات التى أتعشم أن تكون ممتازة، سمكتان من أسماك نهر الأردن التى لا تعرفها أنت أبدا، والتى أعدها دافوس، طباخى العجوز... ولكنى أسمع صوت المصفار المزدوج... لا بد أنه محمل ملكة بيت عنيا وأورشليم الذى توقف

عند باب منزلى... إن عينيك سوف تقابلان النور الذى تشتاقان إليه، وعيناى ستقابلان الابتسامة التى تعجبهما، إلا إذا المرايا الفضية بالفناء استوقفتهم أكثر من اللازم...

فـــيـــروس : ها هى هناك...

"تدخل مريم المجدلية من الجهة اليمنى.. يتبعها بعض العبيد، تومئ إليهم بحركة آمرة كى ينصرفوا"

المشهد الثانى

الأشخاص أنفسهم، مريم المجدلية

(سيلانوس يتوجه إلى مريم المجدلية ليستقبلها)
"من هى تلك التى تشرق من الصحراء
مثل عمود من الدخان
تفوح برائحة المُر والبخور؟
من تلك التى تبزغ مثل الفجر،
أجمل من القمر، وأسطع من الشمس،
وإن كانت صنديدة كجيش فى معركة؛"
كذلك تنشد كتبكم المقدسة عند اقتراب "السولاميت"...

مريم المجدلية : لا تحدثنى عن كتبى المقدسة، إنى كرهتها كما كرهت أى شىء يأتى من قبل هذا الشعب الخبيث والخسيس، البخيل والشرير...

فيروس : (يندفع ليحييها بدوره) سأتحدث إذن على الطريقة الرومانية: "تحية إلى بكرية أجلايا، أصغر فتيات الكاريت(*) وأقواهن!..."

مريم المجدلية : لك أن تواسينى بدلاً من أن تمدحنى. لقد سُرقت هذه الليلة،

(*) ربات الجمال اليونانية - الرومانية وهن أجلايا، وتالى وإفروزين. (المترجم)

علاوة على أجمل لآلئ، فصوص من الياقوت القرطاچينى، والطواويس التى جلبتها من بابل وكل أسماك الزينة فى حوض السمك... ولكنهم فعلوا ما هو أسوأ من ذلك. كان عندى، وأنت رأيتهم يا سيلانوس، مزهريتان تثيران الإعجاب من الكريستال وحجر العقيق، مملوءتان بسنابل عطر الناردين الهندى الثمين، كنت أحتفظ بها من أجل اليوم الموعود الذى سيأتى حتما، حيث يُحاط بها جسدى وبالشرائط الجنائزية...

سيلانوس : نعم، أتذكرهما، وكانا لا مثيل لهما!... وفى رأيى، أنهما كانتا من صناعة فينيقية، ولابد أنهما يرجعان إلى زمن سليمان، لم أر قط أى مزاهر أخرى فى جمالهما. ولكن يستحيل عليهم أن يكون لديهم المهارة ليستولوا على مثل هذا الكنز الذى أمامه، قيصر نفسه، كان سينحنى!...

مريم المجدلية : لم يأخذوا سوى واحدة، ولكنى لست أدرى لماذا أبدوا احترامهم للأخرى وتركوها دون المساس بها، على قاعدتها الفضية، فى آخر الفناء... ربما يمكن القول بأنه فى اللحظة الأخيرة استولى عليهم خوف وشك وترددوا فى إنجاز السرقة... لإصابتهم بالاضطراب...

فسيروس : كانوا يعلمون جيدا أنهم يقترفون انتهاكا للحرمات!... ولكن أليس عندك أى دلالة أو شكوك؟...

مريم المجدلية : لا أدرى... لقد أمرت بضرب العبيد بالمقرعة وتعذيبهم، فهم المكلفون بحراسة المطيرة(*) وحوض السمك، ولكن لم يعترفوا بشىء وأعتقد أنهم لا يعرفون شيئا...

سيلانوس : عملية السرقة تثير الدهشة، لأن البلد آمن... وها قد مر ما

(*) مكان واسع لتربية الطيور. (المترجم)

يقرب من ست سنوات وأنا مقيم فيه، ولم يحاول أى أحد أن يسرق منى ولو جزءا من حكمتى التى لم تكن محبوسة قط وهى أثمن شىء أمتلكه... اليهودى منافق، ماكر وسيئ النية، يقوم بالنصب والاحتيال والربا، كذلك معظم الفضائل والرذائل تتفاوت فى المعاملة، ولكنه يتجنب شبه دائم السرقة الصريحة والشرعية، السرقة الشريفة، لو صح القول...

مريم المجدلية : فى البداية، ساورتنى شكوك تجاه العمال الصوريين (نسبة - إلى مدينة صور) الذين كانوا فى ذلك الوقت يُغيِّرون، فى إحدى قاعات فيلتى، الزخارف المتحركة التى يتم تبديلها عند كل وجبة، بطريقة تجعل الحوائط منسجمة مع الوجبات التى تزدحم بها المائدة...

فـــيـــروس : رأيت مثلها عند حاكمنا فوميونيوس فلاكوس، فى أنطاكية، ولكنى لم أكن أعلم أن هذا الابتكار الحديث فى روما نفسها، قد تسلل إلى هذا البلد البعيد...

مريم المجدلية : لذلك لن تجدها سوى فى فيلتى، والقصر الأخير لتيتراك أنتيباس محروم منها أيضا... فى البداية دارت شكوكى حول هؤلاء العمال، لكن عندى الدليل على براءتهم. وأنا الآن على يقين أنه ينبغى البحث عن هؤلاء اللصوص بين أفراد هذه العُصبة من المتسولين والمتجولين الذين منذ وقت غير طويل قد غزوا البلد.

ســيلانــوس : هذه الجماعة اشتهرت بجماعة الناصرى(*).

مريم المجدلية : تماما. رئيسهم. قيل لى، أنه نوع أو طراز من الرجال المتشردين، قذر، يخدع الجماهير بسحر فاحش، والذى تحت ذريعة التبشير لا أعرف بأية شريعة.. أو مذهب جديد، لا يعيش إلا من النهب..

(*) نسبة إلى مدينة الناصرة، ويقصد به أيضا المسيح (عليه السلام). (المترجم)

ويحيط به أفراد قادرون على فعل كل شيء... ومع ذلك، فإننى أشكو منهم على مستوى آخر من العلاقات... فأول أمس، عندما كنت أتنزه فى حدائقى، تحت الرواق الذى يفصلهم عن الطريق، عدد من البؤساء يبلغ اثنى عشر بائسا، انفصلوا عن هذه الزمرة، ووجهوا إلىّ سبابا بطريقة بذيئة ومُهددين إياى بقذفى بالحجارة... لقد أصبح ذلك أمرا لا يطاق، وآن الأوان لتخليص المنطقة منهم.

فــيــروس : لقد حدثونى عن هؤلاء الناس... وأعلم أن الوالى الرومانى مهتم بهذا الموضوع وسأفرض عليهم رقابة عن كثب.. ومع ذلك، إذا كنت ترغبين فى أن ألقى القبض على زعيمهم فسيكون ذلك يسيرا بالنسبة لى...

مريم المجدلية : أرجوك ذلك، وفى أقرب وقت ممكن... وسأكون ممتنة لك بصفة خاصة...

سـيلانـوس : أعتقد أنك خُدعت. اللصوص، حسب ما أرى، غير موجودين فى هذه الناحية. إنى فى موقع جيد ليتسنى لى معرفة الزمرة، سمعت منذ خمسة أو ستة أيام أن هذه الشرذمة تعمل على بعد خطوات من منزلى، وسرنى - لأن كل شيء يتحول إلى متعة بالنسبة لسنى - أن أحضر أحد اجتماعاتهم. كان ذلك بالقرب من طريق أريحا القديم. الزعيم كان يتحدث فى وسط جمع غفير من الناس، مغبَّرين، عليهم ثياب رثة. بين هذا الجمع يُلاحظ وجود عدد كبير من العاجزين والمرضى منفرين إلى حد ما.. ويبدو عليهم أنهم جاهلون ومتحمسون إلى أقصى حد وقذرون، ولكنى أعتقد أنهم غير عدائيين، وغير قادرين على السرقة اللهم إلا كوب ماء أو سنبلة قمح... كانوا يستمعون بلهفة إلى حكاية ساذجة، حكاية ابن عاد إلى أبيه بعد أن بدَّد إرثه...

لم أسمع النهاية، لأنهم نظروا إلىّ نظرات فيها شك... ولكن الجليلى،(*) أو الناصرى، كما يُلقبونه هنا، عجيب وفريد إلى حد ما، فى صوته حلاوة عميقة وله نبرة خاصة... إنه على ما يبدو، ابن نجار... سوف أحُدثك عنه مرة أخرى، عندى تفاصيل عنه مهمة، ولكن اسمحى لى أولاً أن أذهب لأرى، من الجهة الأخرى من المنزل حيث نطل على الطريق، ما إذا كان هناك أى من ضيوفنا الذين تأخروا...

يخرج من الجهة اليمنى..

(*) نسبة إلى مدينة الجليل، والمقصود بالجليلى هو المسيح (عليه السلام). (المترجم)

المشهد الثالث

مريم المجدلية، فيروس..

فـــيــــروس : لم أكن أتصور أن تتاح لى فرحة رؤيتك ثانيا، وبموافقتك، وذلك بعد الكلام اللاذع الذى كان قد انتزع منى حتى الأمل الذى أحيانا ما يترك إلى هؤلاء الذين نريدهم أن يصيبهم اليأس والإحباط...

مريم المجدلية : كنت حمقاء وطائشة، ولكن ها هو العقل قد ثاب لرشده، وعلمت أن أجمل حب لا يساوى دمعة واحدة.

فـــيــــروس : بقدر ما هو ليس الأفضل، ولا حتى الحب الجميل، بمجرد أن يُذرف فيه الدمع...

مريم المجدلية : لم يعد بالنسبة لى هناك ما هو الحب الأفضل أو الأسوأ... أنا عشت حتى هذه اللحظة بين أكاذيب أفاد منها الآخرون ومنذ ستة أشهر، أعيش فى قلب وقائع أحقق منها فوائد...

فـــيــــروس : ماذا تقصدين بذلك؟

مريم المجدلية : إننى أبيع نفسى بمهارة أكثر وأغلى مما سبق...

فـــيــــروس : يا مجدلية!... إنك تفترين على نفسك وتحطين من قدرك!

مريم المجدلية : سوف ترى، لو أن رغبتك كانت تغريها المغامرة، أننى على العكس، أقدِّر نفسى بأعلى قيمة...

فـــيــــروس : أنت تقدرين نفسك دائما أقل مما أقدِّرك أنا... أنت لن تتوصلى

إلى أن تحطى من قدرك فى نظرى!... وأنا لا أرى فيما تقولينه لى سوى ثورة شرعية لنفس جريحة فى أعماقها، تتماسك فى وجه الألم...

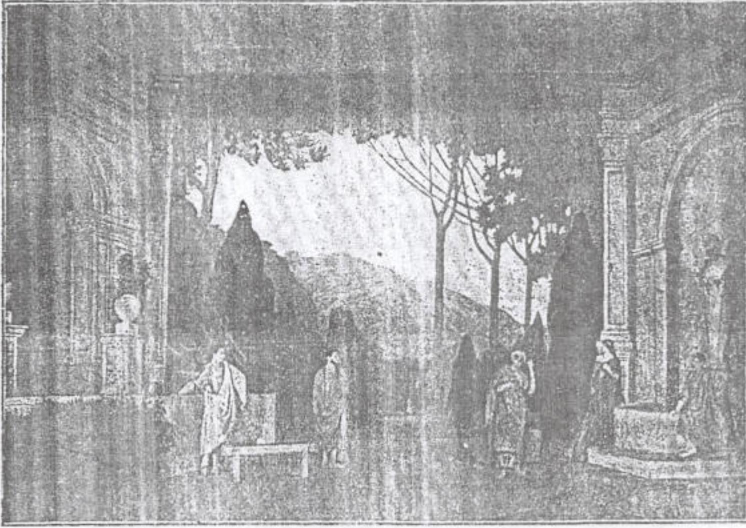
مريم المجدلية : أنت مخطئ فهى ليست نفسا متماسكة، بل هى نفس وجدت ذاتها...

فـــيـــروس : أنا لا أصدق شيئا من ذلك... وعلى كل فأنا أفضل أن أكون مدينا لك بالبغضاء والكراهية عن أن أفقدك لأنبل قضية... وبما أن الأمر يقتصر على أن أقدرك تقديرا كبيرا، فاعلمى، منذ الآن... أنك ملك لى أنا...، يا مجدلية...

مريم المجدلية : ذلك ممكن... ولكن ها هو مضيفنا قد عاد.. نحن ليس لدينا، الآن، ما نقوله لبعضنا...

يدخل، من الجهة اليمنى، كل من سيلانوس، وإبيوس، وفيليوس...

المشهد الرابع



أپيوس مريم المجدلية سيلانوس ڤيليوس ڤيروس

سيلانوس: "المواساة، يا سيدتى، ليست أن ننكر الألم بل أن نتعلم كيف نتغلب عليه!"

المشهد الرابع

الأشخاص أنفسهم، سيلانوس، أپيوس، ڤيليوس

"يتجه أپيوس نحو مريم المجدلية"
"ڤينوس غادرت قبرص"
"وحلقت فوق أورشليم!..."
أو على الأرجح، هى الجميلة تيميسًا التى سرعان ما أعادت البسمة إلى شفتى ابن تيلامون!... تأمل إذن يا ڤيليوس الصورة الجميلة التى شكلها تحت سقف هذا الرواق، الحب والجمال.

ڤـيـلـيـوس : نكاد نقول إن السماء اللازوردية قد انبسطت عليهما، بين هذين العمودين...

سـيلانـوس : السماء الصافية والنور لا يبدوان سعيدين إلا عندما يحتويان الشباب والحب... ولكن لكى نعود إلى صور أقل بريقا وتألقا لتتناسب على نحو أفضل مع رأسى الذى أثقلته سنوات العمر فإننى الاحظ أن نوعا من الشعور قد دفعنا إلى أن نتحدث منذ لحظة، عن جماعة الناصرى، لأن تلك الجماعة هى نفسها التى تسببت فى تأخير ضيوفنا...

أبيـــــوس : فى الواقع، تصوروا عندما اقترينا من هناك، عند آخر تقاطع وجدنا البلد فى حالة اضطراب والطريق مزدحم بحشد صاخب ومتحرك يتدافع حول رجل أعمى، استرد بصره...

فـــــيـــــروس : تلك فى الحقيقة إحدى الظواهر التى لم نقابلها إلا فى القرية اليهودية...

قـيـلـيـوس : كان ذلك مثيرا للعجب!... الرجل المسكين، مدفوع بشدة نحو جدار قديم كان يصيح وهو يدير عينيه المنتشيتين والطاهرتين: "هذا نبى، هذا نبى!.. إنى أرى رجالاً يسيرون وهم أشباه أشجار!.." والحشد حوله يضرب الأرض بالأقدام.. كان يبدو أن النور يبهر عينيه...

أبـــيـــوس : أو على الأرجح النبيذ، لأنه كان يترنح بوضوح...

فـــيـــروس : والناصرى، هل رأيته؟...

أبـــيـــوس : كلا، كان قد ابتعد فى الحال، يتبعه الجزء الأكثر صخبا من الحشد، وإلا ما كنا استطعنا أبدا أن نمر...

مريم المجدلية : فى الواقع، يبدو أنه عندما يندفع هؤلاء اللصوص حول زعيمهم، فإنهم ما كانوا ليغادروا مكانهم من أجل أن يفسحوا الطريق... ولو حتى لقيصر...

قـيـلـيـوس : أين ذهب؟... يدفعنى فضولى إلى أن أراه...

ســـيلاتـــوس : لا بد أنه لم يبتعد كثيرا... انظر إلى هناك فى آخر حديقتى هذا السياج من شجر الرند؟... إنه يفصل بين ضيعتى الصغيرة وبستان جارى الذى يُدعى سمعان الأبرص...

مريم المجدلية : وهى تنتفض - ماذا! جارك الأقرب لك هو أبرص؟... كان ينبغى أن تقول لنا ذلك...

ســـيلانـــوس : اطمئنى، يا سيدتى، إنه لم يعد مصابا بمرض البرص...

أبـــيـــوس : كنت أعتقد أن الأبرص يظل كذلك طوال حياته مثلما يكون المرء

مقعدا أو أحدبا... تلك هى أيضا مفاجأة أخرى من هذه القرية الموحشة، اليهودية...

سيلانوس : الناصرى شفاه.

فيليوس : هل هو شُفى حقيقة؟... بصفته أقرب جار، لابد أن تعرف حقيقته...

سيلانوس : إنى أعرف أنه سليم معافى ووجهه مثل وردة مجدلة وزنبقة بيت عنيا... أمامك ها هنا، لكنى أجهل ما إذا كان مريضا فى الماضى حيث إننى لم أشاهده قط قبل شفائه...

أبيوس : كنت أشك فى هذا الأمر... ومع ذلك رأيت فى تراقيا ومصر سحرة يفوقونه مهارة... ولكن لاستئناف الحديث عن هذا الأبرص دون برص، ماذا يجرى إذن خلف هذا السياج، وعند هذا الجار الغامض؟...

سيلانوس : الناصرى ضيفه منذ ثلاثة أيام... سمعان هذا، وأخته، وزوجته، وكذلك على ما أعتقد زوج أخته أناس من سواد الشعب يعيشون من دخل أشجار الزيتون التى يمتلكونها... كانوا جيرانا لا يتسمون بالجرأة وهادئين، ولكن منذ مجىء الناصرى.. انقلب حال كل شىء... هناك حركة ذهاب وإياب دائبة، وهرج ومرج مستمر... بستانهم مزدحم دائما بجمع غفير من المرضى، والمتشردين، وذوى العاهات، خرجوا من كل شعاب اليهودية، ليبتهلوا لذلك الذى يسمونه "منقذ العالم"، ابن داود وملك اليهود.. هم أحيانا عددهم كبير حتى إنهم يتجاوزون حدود حديقتى.. ها هو السياج كما تراه، كان مفروكا، مدهوسا، بل ومخترقا فى بعض أجزائه حيث حدثت به ثغرات.. لحسن الحظ، أن فترات ظهور الناصرى نادرة وقصيرة... علاوة على ذلك، وبالرغم من هذه المضايقات، فإن هذا المشهد يسلى ويثير فضولى...

قـــيــلــيــوس : (يدخل من الجهة اليسرى خمسة أو ستة فقراء).
من هم هؤلاء الناس؟

ســـيلانـــوس : ماذا أقول لك؟... ها هى نصف دستة منهم جاءوا يطلبون بعض الخبز.

أبـــيـــوس : هل هم من الجماعة المشهورة؟...

مريم المجدلية : إنهم منفرون ورائحتهم كريهة!... أحدهم وجهه منهوش بقرحة، وآخر يكاد أن يكون عاريا، وثالث يدنو من الموت جوعا!...

أبـــيـــوس : لا جرم أنهم لا حياء عندهم حتى إنهم يحملون معهم القبح والخوف ويتجولون بهما فى الأنحاء...

ســيلانــوس : لا تتضايق أبدا، هؤلاء لن يشوهوا جمال الرواق وأناقته لوقت طويل... حيث ترتاح نفوسنا بالنظر إليه... الجناينى عندى اكتشفهم، وهو مُسلح بمعزقة صلبة وسوف يطردهم بلا لين أو رأفة... انظروا، إنهم لا يصرون أو يُلحون أبدا، ينصرفون فى هدوء وهم خافضون رءوسهم... والآن وقد انشغلنا بما فيه الكفاية بالبؤساء، وزعيمهم الكبير وأمراضهم، فلنفكر قليلا فى أنفسنا، ولنتذوق سعادة بعد ظهر هذا اليوم الجميل الذى أهداه لنا الربيع... بهجتى برؤيتكم مجتمعين ما كانت لتشوبها أية شائبة لو أن صديقنا القديم لونچينوس راضخا لإلحاح أبيوس، كان قد وافق على أن يأتى بصحبتكم...

أبـــيـــوس : لم أجرب قط بحماس أكبر غرور البلاغة العظيمة التى علمنى إياها هو شخصيا... وردا على كل أسبابى الأكثر إقناعا والأفضل استنتاجا كان يواجهها بصمت مطبق أو هز رأسه مرددا أنه لم يكن يريد أن يكدِّر بحضوره الكئيب، اجتماعنا السعيد...

قـــيــلــيــوس : ومع ذلك، ها قد مرت ثلاثة أسابيع على وفاة هذه الطفلة... لم

أكن أصدق أن الألم يمكن أن يصيبه إلى هذا الحد...
لا سيما أنه يتعلق بطفلة فى سن الحداثة كان والدها يعرفها أقل مما تعرفها مربيتها...

سيلانوس : وهناك أيضا ما يثير الدهشة أكثر، والذى يؤكد فى الصميم أن أهم شىء فى الحكمة، ليس أن نعرف أكثر بل أن نتواءم مع ما نعرفه... عندما فقدت، وذلك منذ أكثر من عشرين عاما، صبيا صغيرا، وكان تقريبا فى عمر الطفلة التى يبكيها، لونچينوس أخذ فى مواساتى كتب إلىّ رسالة بليغة، مستندا إلى سلطة ميترودور، وسلطة مانيتيوس، وهيرمانكوس، يُثبت لى فى مضمونها أن الألم ليس "فقط لا جدوى منه، بل إنه عقيم..."، لقد حفظت تقريبا عن ظهر قلب أهم فقرات هذه الرسالة التى عثرت عليها ثانية، وأعدت قراءتها هذا الصباح... وذلك لقوة معانيها المؤثرة... كانت من أسمى الكلمات التى يمكن للحكمة الإنسانية أن تنطقها عن الموت والألم... وفى الماضى... كانت بمثابة حماية لى...

مريم المجدلية : ماذا كانت هذه الكلمات؟... من الجميل أن تعرف ما يمكن أن يخفف الألم...

سيلانوس : قال لى "أنت تنتظر تعازيا... لن تتلقى سوى لوم... إذا كنت قد تلقيت وفاة طفل بكل هذا القدر من عدم التمهل والصبر، ماذا كنت ستصنع لو أنك كنت قد فقدت صديقا؟... كان ينبغى عليك أن تضع نفسك فى هذا الموقف... بأن تكون راضيا أكثر لأنك رُزقت به بدلاً من أن تحزن لأنك فقدته. ولكن الأغلبية لا تهتم بمزايا الماضى ومسراته. إنهم يلحدون الصداقة فى القبر مع صاحبهم..."

ابيوس : إنى أعترف وأشيد بحكمة أستاذنا المبجل البليغة...

سـيلانـوس : لماذا لم يذكر ذلك عندما هاجمه الشقاء؟ بل لماذا نسيته أنا شخصيا عندما كنت فى حاجة إليه؟... وأضاف قائلاً: "أؤكد لك أن الكثير من هؤلاء الذين أحببناهم يتبقى حتى بعد أن اختطفهم القدر. الزمن الذى مضى ملكا لنا، وأنا لا أرى شيئا نستطيع التيقن منه أكثر مما كان فى الماضى. الأمل فى المستقبل يجعلنا كافرين بالنعم التى رُزقنا إياها، كما لو أن ما ننتظره من خير لا ينبغى أن يكون مُدرجا فى مصاف الأشياء الماضية. لقد توفى لك ابنٌ صغير جدا والذى لم تكن قد استطعت بعد أن تعده بشىء، ذلك ليس إلا حيزا صغيرا من الزمن المفقود. هناك أمثلة لا نهاية لها لآباء فقدوا أبناءً فى سن الحداثة دون أن يُذرفوا دمعة واحدة، وعادوا إلى مجلس الشيوخ بعد أن وضعوهم فى المقبرة. لم يكن ذلك دون سبب، لأنه، فى المرتبة الأولى، ليس من الضرورى أن نحزن عندما يكون الحزن غير مُجدٍ. وبعد ذلك، من الخطأ أن نشكو من بلية أصابت شخصا ما ولا تزال مُسلطة على رءوس الآخرين. وعلاوة على ذلك، فإنه من الحماقة أن نشكو عندما تكون هناك مسافة قصيرة جدا تفصل بين الذى توفى وذلك الذى يحزن عليه. ولتعلم أن الجنس البشرى، الذى يتجه لمصير واحد، لا تفصل بين أفراده سوى مسافات قصيرة، حتى ولو كانت تبدو طويلة جدا. إن ذلك الذى اعتقدت أنه فقد، قد سبقك فقط. بما أننا لنا طريق واحد علينا أن نسلكه، أليس من الجدير بحكيم أو عاقل ألاّ يبكى ذلك الذى رحل مبكرا عنا؟ حين يشكو أن الصديق أو الابن قد مات، فهو يشكو أنه كان بشرا. كلنا مرتبطون بمصير واحد. إن من خرج إلى الدنيا فهو لا يمكن أن يُعفى من الخروج منها. ربما يكون المكان مختلفا، ولكن النهاية دائما واحدة، الزمن الذى يسرى بين أول يوم وآخر

يوم، أى من بداية العمر إلى نهايته، غامض ومتغير. إذا أنت قدّرت بؤس الحياة، فهو طويل، حتى بالنسبة إلى طفل، وإذا قدّرت الديمومة، فزمنها قصير حتى بالنسبة إلى شيخ"(*).

مريم المجدلية : ذلك لم يواسينى مطلقا...

سيلانوس : المواساة، يا سيدتى، ليست أن ننكر الألم، بل أن نتعلم كيف نتغلب عليه.

في هذه اللحظة، ترتفع من الطرقات ومن الدروب ومن كل الريف غير المرئى الذى تهيمن عليه الشرفة، ضوضاء فى البداية مكتومة، ومشوشة، والتى تتأكد رويدا رويدا، وتتضح. ضوضاء لجمع غفير يتشكل ويتسابق، أحجار تتدحرج، صيحات أطفال، نباح كلاب، نداءات تتميز شيئا فشيئا. "من هنا، من هنا، تعالوا سريعا... انزلوا. إلى اليمين!... إنه هناك!... إنا نراه!... يخرج من المنزل!... إلى بستان سمعان!... احملوا إليه المعوقين!... رافقوا العميان!... أسرعوا، أسرعوا، من هنا!. يُقال إنه سوف يتحدث!... إلخ"

ما هذا؟... ماذا يجرى؟

ابيوس : إنهم يهرعون من كل مكان!...

فيروس : كل الشوارع مزدحمة بالناس الذين يتدافعون كالمجانين.

فيلوس : يبدو عليهم وكأنهم يخرجون من الأحجار!

ابيوس : ماذا يحدث إذن؟... إنهم يختفون خلف أشجار الزيتون...

فيلوس : ها هما مريضان يُحملان على محفاتهما...

فيروس : ضرير يسقط على الأرض!...

ابيوس : ماذا ألم بهم؟ هل هم معتوهون؟...

(*) سينيكا Sénéque, Ad Lucilium: Epist.XCIX.

ابيـــــــوس : ما هذه الكائنات العجيبة التى تقفز من بين الصخور؟...

فـــيـــروس : هؤلاء هم الشياطين الذين يخرجون من المقابر...

ســـيلانـــوس : ولكن، ماذا بعد، ما الذى يجرى؟...

ابيـــــوس : لقد رأوا الناصرى...

سـيلانـــوس : الناصرى؟... أين هو؟

مريم المجدلية : من المحتمل أنه خرج لتوه من بيت سمعان. كل حركاته مراقبة.

ســيلانـــوس : بمجرد أن يظهر، يحملون إليه المرضى، يتدافع نحوه المريدون... لابد وأنه يتجول فى البستان المجاور... (يرهف السمع) فى الواقع... أتسمعون همهمة الجمهور الشبيهة بطنين النحل؟ إنه يقترب من سياج أشجار الرند عندى...

ابيـــــوس : فلنذهب لنرى...

ســيلانـــوس : لا أنصح بذلك أبدا. أولا، معظم هؤلاء الناس فى غاية الفقر، وقذرون إلى أقصى درجة وملمسهم مُنفر وكريه... وثانيا، أنت تعلم مدى تعصُب اليهود... فى هذه اللحظات من النشوة يصبح أكثرهم مُسالمة، غاية فى الخطورة، ورؤية الرداء الرومانى الفضفاض والأسلحة كذلك، يُثيرهم على نحو خاص وفضلاً عن ذلك نحن نسمع جيدا من هنا ما سوف يحدث... أنصتوا!... الصيحات تقترب أيضا! وتتضاعف.

فى الواقع كانت تُسمع خلف السياج الذى يُغلق نهاية الحديقة، صيحات تتعالى وتقترب أكثر فأكثر: "المجد لله!... أيها السيد المسيح، أيها السيد المسيح، فلترحمنا: أيها المسيح، يا ابن داود، اشف المريض. يا أيها المسيح! يا أيها المسيح! يا أيها المسيح! يا يسوع الناصرى، ارحمنى!... تنحوا جانبا!... هدوء... هدوء!... سوف يتحدث" بهذه الكلمات انخفضت الضوضاء على نحو مفاجئ. صمت لا مثيل له، شاركت فيه على ما يبدو الطيور،

أوراق الشجر، وحتى الهواء الذى نتنفسه، يطبق على الريف بكل ثقله غير الطبيعى، وفى غمرة هذا الهدوء الذى يخضع له كذلك الأشخاص فى الشرفة، يرتفع، فى هيمنة مطلقة على الفضاء المحيط واللحظة الراهنة، صوت لا مثيل له، فيه قوة وحلاوة، فيه شوق ونشوة، فيه نور وحب، بعيد ولكنه قريب من كل القلوب، وماثل فى كل النفوس...

الصوت

"طوبى للبسطاء، لأن مملكة السموات تعينهم"
"طوبى لهؤلاء الذين هم مطيعون لأنهم سوف يمتلكون الأرض".
"طوبى لهؤلاء الذين يبكون، لأنهم سوف يواسون".

ابيـــــوس : ماذا يقول؟...

سـيلانـوس : أنصت! هذا عجيب ومثير للاهتمام.

الصوت

"طوبى لهؤلاء الذين هم جوعى وعطشى للعدالة، لأنهم سوف يشبعون"
"طوبى للُرحماء، لأنهم هم أنفسهم سيُرحمون".

مريم المجدلية : أريد أن أرى!...

تنهض وكأن الصوت الرائع يجذبها دون أية مقاومة، تذهب لتنزل درجات سلم الشرفة وتتجه نحو نهاية الحديقة.

سـيلانـوس : (بصوت منخفض يحاول ان يمنعها) لا تذهبى إلى هناك!

الصوت

"طوبى لهؤلاء الذين قلوبهم طاهرة، لأنهم سوف يقابلون الرب!...

مريم المجدلية : أريد أن أذهب إلى هناك!...

فــــيـــــروس : سأذهب معك إلى هناك...

مريم المجدلية : كلا! لا أحد!... دعوني! (تنزل نحو السياج كالمسحورة)

الصوت

"طوبى لهؤلاء الذين هم مسالمون، لأنهم سوف يُسمَّون أبناء الله!...

"طوبى لهؤلاء الذين يكابدون من الاضطهاد من أجل العدالة، لأن ملكوت السماوات لهم!"

فــــيـــــروس : إلى أين هى ذاهبة؟...

ابـــيـــــوس : ماذا تفعل؟... إنها لمجنونة!... تحاول أن تمر من خلال السياج!...

الصوت

"طوبى لكم متى أهانكم الناس واضطهدوكم!...

"ابتهجوا! كونوا فى حبور لأن مكافأتكم كبيرة فى السماوات!..."

فــــيـــــروس : لقد فتحت باب الحديقة!... إنها فى البستان.

ســـيلانـــوس : أحيانا تكون للنساء أفكار لا يفهمها العقلاء أبدا...

فــــيـــــروس : سوف ألحق بها، ولو كان لابد من حمايتها ضد هؤلاء...

ســـيلانـــوس : لا تفعل شيئا... إنهم منتبهون إلى الصوت ولن يلتفتوا إلى وجودها بدلاً من رؤيتكم وسماع صليل أسلحتكم... أنصت، أنصت إلى ما يقوله، فذلك على جانب من الأهمية...

الصوت

"وأقول لكم، يا من تسمعوننى: أحبوا أعداءكم، اعملوا الخير مع هؤلاء الذين يكرهونكم! باركوا هؤلاء الذين يلعنونكم، صلوا من

أجل هؤلاء الذين يُسيئون إليكم!.."

"في هذه اللحظة، ترتفع صيحات محدودة في البداية، يطلقها بعض ممن هم من بين الحشد الكبير المتوارى خلف السياج. نستطيع أن نميز منها بعض الكلمات.

(إنها الرومانية: الرومانية!... الزانية!... ياللعار! ياللعار! ياللعار! المجدلية!... العاهرة!... اطردوها!... اطردوها!...) بعد ذلك مباشرة، تختلط هذه الصيحات بضجة وصخب هائلين واستنكار حيث لم نكن نتبين أى شيء إلا بصعوبة، بعض كلمات رنانة: (ياللعار! ياللعار!... ارجموا!.. ارجموا!... حتى الموت!... حتى الموت!... الحجارة!... إلخ) كل ذلك تصحبه ضوضاء، هروب، خطوات تتسارع، عصىً وحصوات تصطدم ببعضها، وفروع شجر تتكسر، ... إلخ.

سيلانوس : لقد شاهدوها!...

فيروس : ما هذا إذن؟... أهى التى يريدون الفتك بها؟

سيلانوس : هذا هو ما كنت أخشاه... فلنتوخ الحذر...

فيروس : (يسارع نحو نهاية الحديقة) من هنا!... اتبعوني!... أبيوس! فيليوس! سيوفكم!...

في الوقت نفسه الذى يهرعون فيه، هُدم سياج الرند من كل جهة بواسطة الحشد الثائر والذى يُعبّر عن استيائه بحركات كثيرة وهو يطارد مريم المجدلية، التى كانت مرعوبة، وتحاول الوصول إلى الشرفة. فيروس وصديقاه يركضون نحوها لحمايتها من الغوغاء. الأحجار تتطاير، فيروس متقدما الآخرين، يستل سيفه. في الوقت الذى بدا فيه أن الصراع سوف يحتدم وقد بدأت بالفعل تتكسر فروع الشجر، ويتهاوى تمثال،... إلخ، فجأة، تُدوى صيحة تحت أشجار الزيتون المجاورة، وأكثر قربا من ذى قبل، صيحة هائلة بالصوت العجيب. عندئذ توقف كل شيء، خيم عليهم جميعا ذهول عميق. تسمع كلمة آمرة يتناقلونها: "صمتا، صمتا... انصتوا!... إنه

يتكلم! سوف يتكلم!... المعلم يشير بعلامة!... أنصتوا! أنصتوا!..." حينئذ، في أعماق هذا الصمت الذي خيم فجأة، يرتفع الصوت الرائع، هادئا قويا، عميقا، لا يقاوم.

الصوت

"من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر!..."

عندئذ يُسمع صوت ارتطام الأحجار وهي تسقط على الأرض، الجمع الغفير يموج، يتحير، ويختفي شيئا فشيئا، في صمت، من خلال السياج. يتقدم فيروس ليساند مريم المجدلية التي تتوقف وتظل ساكنة بلا حراك، في وسط الممر... بحركة عنيفة ترفض العون الممدود لها، تحدّق ببصرها إلى الأمام، وحيدة بين الآخرين، الذين يتفحصونها، دون أن يفهموها، وهي ترتقي درج الشرفة بصعوبة.

ســــتار

الفصل الثانى

قاعة كبيرة خلف ساحة ڤيلا مريم المجدلية، فى بيت عنيا. فى العمق، على التوالى، الساحة وممر طويل بأعمدة من المرمر.

المشهد الأول

مريم المجدلية، لوقيوس ڤيروس.

يدخل لوقيوس ڤيروس، المجدلية تجرى صوبه وترتمى بين احضانه.

مريم المجدلية : ها أنتَ ذا، أخيرا، ڤيروس!... ها قد مرت ثلاثة أيام وأنا أنتظرك، ثلاثة أيام وأنا أناديك وأنى لأسأل نفسى عما إذا كان حقيقيا الجمال الذى يصفونى به، والذى شهرته لم تجلب علىّ سوى الحسرات، والنفور، فهو غير قادر على أن ينتصر عندما يتعلق الأمر فى النهاية بالسعادة التى من حق كل امرأة أن تتمناها فى الحياة...

ڤيروس : لست أدرى إذا كان فى مقدورى أن أهبك السعادة التى تستحقينها يا مجدلية، ولكن اعلمى جيدا أن جمالك لم يجلب لكِ سوى انتصارا كاملا...

مريم المجدلية : فيم يهمنى حاليا انتصاره؟!... إنها أنا التى منيّت بالهزيمة مُسبقا، دون أن أجرؤ على أن أقول ذلك لنفسى، ودون أن أستطيع إخفاءه على طبيعتى اللامبالية التى اكتسبتها بطريقة غير لائقة، على غرورى الذى لم يكن قط سوى التاج المشين لعارى!... لكن لماذا جعلتك تنتظر كثيرا! اعتقدت أن الكل هجرنى وتخلى عنى وأن كل شىء قد ضاع بسبب الكلام الشنيع الذى كنت قد قلته عند سيلانوس الطيب، والذى لم يكن حقيقيا، لم يكن سوى كذبا أعمق من أكاذيبى الأخرى، لأنى كنت حمقاء، لم أكن أعلم، أننى لم أكن أريد سعادة مستحيلة...

فـيـروس : تعلمين جيدا يا مجدلية، أننى لم أعتقد قط أنك كنت تشبهين تلك التى كنتِ تُصورينها... ولكن الآن كذلك أنا لا أجرؤ على الاعتقاد فى سعادة تُقدَّم... إننى منبهر وعاجز عن تبين الأمر، إنى أشك، مُتحير... أنا لا أتعرَّف على الصوت الذى كان يدفعنى دائما وبشدة بعيدا عنه.

مريم المجدلية : بين ذراعى فيروس. إنه ليس الصوت نفسه، وليست نفس الروح...

فـيـروس : ومع ذلك، فأنت التى أحتضنها بين ذراعاى، وأنت بصفاتك كاملة، التى طالما كنت أنشدها!... إنى ما زلت أتساءل عما إذا كان كل شىء حقا واقعيا، وأن كل شىء ممكن بحق، وأنك لا تستخفين بسعادة فى غاية الصدق سرعان ما سوف تطرحينها بين هؤلاء الذين يُحطمهم الجمال الذى يُعانى... بل كلا، عندما أسأل، عندما أتابع نظراتك التى تغوص فى أعماق نظراتى، أرى أن ذلك حقيقى، أن ذلك كان دائما حقيقيا...

مريم المجدلية : أجل، هذا حقيقى، حقيقى، وكان دوما حقيقيا... كنت أجهل ذلك، كنت أبحث عن ذاتى دون جدوى، وكنت أجهل حقيقتى حتى

أيام القلق هذه... لم أكن أريد أن أرى أنك كنت تأتى إلىّ وأن كل شىء فى أعماقى كان بانتظارك... ومع ذلك، كان لزاما علىّ أن أعرف ذلك.. آنفا، فى أنطاكية، هل تتذكر، يا ڤيروس، كم كنت أتهرب منك؟... كنت أستقبل آخرين كثيرين، وأنت الوحيد الأكثر جمالا، والأكثر نقاءً، كنت أريد أن أتجاهلك، أن أمحوك تماما، وأن أطغى عليك وأدمرك، وأُسقط مكانتك من نفسى... وبمجرد ظهورك، كنت أعود كدابّة جفولة وشرسة إلى أعماق عرينها، وكذلك فى ذاك اليوم، عند سيلانوس الطيب، أحسست بالشر كله، والقسوة كلها، وكل اليأس الذى يكمن فى قرارة نفسى يصعد إلى شفتى... ولكن الآن، أترى، لم أعد تلك التى كنت عليها، لم أعد أتعرف على نفسى وذلك لأننى وجدت هذه النفس... كل ما كان يقاوم فى أعماقى قد انقصم ولم أعد أفهم نفسى، ولم أكن أعرف أن السعادة شىء بمثل هذه الغرابة... أنا التى لم أبك مطلقا فى أسوأ الحالات شدة اليوم أنتحب لأنى سأكون سعيدة... أنا واضحة وأشعر بالخفة ورغما عن ذلك فإنى مُحطمة أكثر مما لو كانت كل الأحزان التى تسبح فى السماوات توشك أن تنقض علىّ... (تحتضنه بوله اكبر) ساعدنى يا ڤيروس، امنحنى حبك، ساندنى، أنت يامن لا يُهدّده شىء، أنت الذى ليس هناك ما تخشاه!...

ڤـيـروس : ولكن ماذا حدث؟ هل تجرّأ أحد ما أثناء غيابى؟...

مريم المجدلية : كلا، كلا، لا أحد، وليس ذلك ما أقصده، وأنا شخصيا أجهل الخطر المحدق بى... ولكن ليس لدى ملجأ سوى ذراعيك، وإنى لأشعر بالضياع إذا أنا فقدتك أيضا... خذنى، ضمنى إلى هذا القلب الذى استمع إليه، بعيدا عنى، بعيدا عن هنا، وبعيدا عن سأمى وقلقى... أنت الوحيد الذى يستطيع أن ينقذنى، ولا أحيا

إلاّ الحياة التى يمدنى بها.. ولكن لماذا تركتنى وقتا طويلا جدا مع أحزانى، لماذا لم تأت إلا بعد اليوم الثالث، تركتنى هكذا دون كلمة مواساة واحدة، دون أية بادرة أمل؟..

فيروس : أنت مخطئة، يا مجدلية، أو أن خدمك لم يقولوا لك الحقيقة... فمنذ اليوم التالى للقائنا عند سيلانوس، جئت إلى بيت عنيا لكى أخبرك بأن الوالى قد أرسلنى فجأة، لقمع عصيان عجيب، على رأس فرقة، وكان هذا العصيان قد انفجر فى ضواحى أريحا. ولم يسمح لى خدمك الذين يحرسون الباب بأن أقابلك وأجابونى على نحو لم يتح لى أن ألح فى لقائك... فهمت أنهم ينفذون أوامر محددة وحازمة بحيث لا ينبغى مخالفتها...

مريم المجدلية : هذا صحيح... لم أعد أعرف... كنت فى حالة نفسية يُرثى لها ومُنهكة، ما كنتُ قادرة على التفكير أو الرغبة أو حتى أن أسمع أى شىء، كان يُهيأ لى دائما بأنى أقاوم هذا الحشد الهائل المخيف فى حديقة سمعان حيث كنت أستصرخ ولكن دون جدوى، ذلك الذى كان قد خلّصنى... لقد تخلى عنى هو أيضا... وكنت قد طلبت البحث عنه ولكن بلا أمل. لم يستطع أحد أن يخبرنى أين اختفى. ألم تره ثانية؟ ألا تعرف أين هو؟...

فيروس : منْ؟....

مريم المجدلية : الناصرى...

فيروس : علينا الآن نتحدث عن هذا الشقى، إن ساعاته معدودة...

مريم المجدلية : ساعاته محدودة؟... ماذا تعنى بذلك؟...

فيروس : لا يهم ذلك، لا يهمنا، وحاليا لن نهتم بما لا يخص حبنا، لأنه من الرائع أن نرى أفكار هؤلاء الذين يتحابون تتلاقى وتندمج بالرغم من البعد والكلام الذى يُسىء إليها. أليس مما يثير الدهشة أنه بعد أن تركتك عند سيلانوس حيث سمعت كلاما

كان كفيلا بأن ينتزع منى كل أمل، أحسست للمرة الأولى، بأن سعادتنا الشابة فى ذروة قوتها وثباتها ويقينها تنمو وتتفتح؟ بينما كنت تناديني، كنتُ أناديك أنا أيضا بكل ما أوتيت من قوة، من أعماق قلبى. إن ما أبعدنى عنك هو واجب جدير بجندى، لأن هذه الحملة على أريحا، هى آخر الحملات التى سأقوم بها بلا شك، كانت شبه مقيتة وتدعو للسخرية فى معظم الأحيان... كنت أحصى بكل هوس الدقائق التى سلبت حياتنا الجديدة التى بدأت آنفا فى نفس لا تخشى أى سبب من أسباب تخوفى...

مريم المجدلية : إنها لن تبدأ حقا إلاّ عندما سنكون بعيدين عن هذه الأرض حيث أختنق، حيث كل شىء مظلم ويُهدد السعادة، حيث لم أعد أستطيع الاستمرار فى الحياة... أرجوك يا فيروس، إذا كنت تحبنى كما أحبك، فلنسرع، لنترك كل شىء، ليس هناك وقت بعد لنضيعه...

فـــيـــروس : أنت على حق، إنه ليس متوقعا من بين هذه الصخور المشئومة، والتى تطفو من بينها رائحة الموت والجنون أن تتولد البهجة التى طال انتظارها... ومع ذلك، هنا أيضا، كانت تتلاقى أفكارنا قبل كلماتنا... أنا أيضا مثلك قررت أن أترك هذا البلد المكروه حيث تُستغل بالفعل طاعتى وولائى... إننى تحت أمر الوالى، ولكننى لست مطلقا رهنا للخدمة المقيتة لهؤلاء الرهبان اليهود، ولا لهذا الشعب الغادر وغير المحتمل والذى هزمه جنودى التابعون للفيلق العريق، لقد فاض بى الكيل من هذه الحياة المبهمة. بداية من هذا المساء سأجد ذريعة لأتملص من أمر ينبغى علىّ أن أنفذه اليوم والذى أعرف جيدا أصله... وإذا اتضح أن الذريعة ليست كافية، فعلى قاييف وحنَّان(*) أن يقوموا بإخطار القيصر. لا شىء

(*) حنان كان رئيس الكهنة وقاييف كان حماه. (المترجم)

يضاهى قوة حبنا أو يستطيع اعتراضه، والعملية التى ليست مدعاة للفخر والتى من المزمع أن يُكلفونى بها أكره أن أقوم بها لاسيما وأنها يبدو أنه ولابد أن تتم أمامك...

مريم المجدلية : أمامى؟... بم يتعلق الأمر؟..

فيروس : عن أمر لا يهمك، علينا الأ نفكر إلا فى تملُص وهروب موفق من هنا...

مريم المجدلية : أعلم أن هناك خطرا يتهدده...

فيروس : عمّن تتحدثين؟

مريم المجدلية : يستحيل، بعد كل ما فعله، أن تصبح أنت الأداة لألد أعدائه... فأنت تدين له بحياتى وربما بسعادتنا... ماذا يريدون منه؟ وما الأوامر التى تلقيتها بشأنه؟

فيروس : إننى مكلف باعتقاله قبل هذا المساء وكذلك زعماء مجموعته الأساسيين. فى مواجهة مرضى ومتسولين يُعد الأمر عملية شرطة مُتدنّية وحقيرة، حتى إنه لم يسبق أن كُلف بأدائها الجنود من قبل... فهى لن تكون. دعينا لا نتحدث عنها...

مريم المجدلية : ولكن لماذا يعتقلونه، ماذا فعل؟ ما الاتهام الموجه إليه؟... إنه برىء، إنى أعرف ذلك، وعلى كل، يكفى رؤيته لنفهم... فهو يُنبئ عن سعادة لم نتذوق مثيلا لها من قبل، وجميع المقربين منه سعداء كما يبدو، وكأنهم أطفال يستيقظون توا من سباتهم... أنا شخصيا، التى لم أره سوى لمجرد لحظة، بين أشجار الزيتون، أحسست بأن البهجة استيقظت فى نفسى، نوعا من النور قد استحوذ على أفكارى... إنه لم يُثبت نظره على عينى سوى لحظة واحدة، وهذه تكفينى من أجل ما تبقى من حياتى. كنت أعلم أنه تعرّف علىّ دون أن يرانى من قبل أبدا... كان يبدو لى أنه اختارنى بكل اهتمام وقوة، إلى الأبد...

فـــيـــروس : ماذا يعنى ذلك؟ أتتحدثين عنه؟ ماذا حدث؟... هل رأيته مرة أخرى؟... غير أنه قيل لى أنه كان متآمرا، مستعدا لعمل أى شىء، ولكنى ما كنت لأصدق أنه ستواتيه الجرأة على ذلك...

مريم المجدلية : لم تكن لديه الجرأة... أنا لم أره مرة أخرى، ولن أراه ثانية بما أننا سوف نرحل لكى لا نكون سوى اثنين...

فـــيـــروس : (وهو يضمها بقوة اكثر) لكى لا نكون إلاّ واحدا، يا مجدلية، على أرض أكثر سعادة حيث كل شىء يحث على الاستمتاع بالنعم، تبتسم لهؤلاء الذين يحبون بعضهم ويباركون الجمال...

مريم المجدلية : (تنفجر منتحبة باختلاجات عصبية على صدر فيروس) أنا أحبك... اعلم ذلك... أريد أن أهرب، أريد أن أهرب مما لا أزال أجهلهُ...

فـــيـــروس : هيا، إنى أعرف هذه الدموع التى تفيض فى آن واحد من قلبنا المزدوج وبهجتنا الوحيدة... ولكن ها هى تتقدم بين أعمدة الرواق أجمل الزينات لروما الجميلة التى سوف تدهشها بحبنا... أنا لا أُخطئ أبدا، إنه سيلانوس الطيب يتبعه أبيوس المخلص اللذان ينزلان على الدرج الرخامى، تقودهما الآلهة الخالدة، حتى يُخلّدا بحضورهما الأخوى الابتسامات الأولى لسعادة وُلدت أمام عيونهما...

المشهد الثانى

الأشخاص انفسهم، سيلانوس، ابيوس

سـيلانـوس : كان مُقدرا لى ومكتوبا علىّ أنه فى مثل هذا اليوم المتميز سوف أشاهد مليا حدثين عجيبين واللذين ليس أيسرهما هو أن أرى حبيبين، بمثل هذه السرعة غير المتوقعة، كانا، وفقًا لما يُؤثر قديما عن الحب، يُصران على أن يتجنب بعضهما. بينما هما فى أعماقهما يحترقان شوقا إلى التلاقى.

ابـيـوس : باسم ميترودور، هيرماكوس وزينون! حقا إن الأمر يتعلق بسعادة كانت مُقدرة بدرجة أكثر مما ينبغى لحبيبين يُنهيان خلافاتهما... أخبرهما حالا، مُعلنا لهما بملء فيك ومن أعماق نفسك ما حدث منذ قليل: لم يعد للموت وجود، القبور سوف تنفتح، وأرواح الموتى تنتشر، الأرباب تزعزعت، جميع شرائع الكون ارتكست!... لقد أدهشتنا للتو ظاهرة فريدة لا تمحى، لم يسبق أن رأينا لها مثيلا، منذ أن أشرقت الشمس على وجه البسيطة والتى لن نراها مرة أخرى حتى موت الأرباب!...

سـيلانـوس : بقدر ما بدا لك غير عادى، أبيوس، بقدر ما عليه ألا يؤثر على استقرار نفسك وروحك أو يزعزع ثباتها مادامت الظاهرة لن

تتكرر ولن نراها مرة أخرى فإنها لن تستطيع أن تؤثر على قوانين الكون، ولا على استقرار الأرباب!...

فـــيـــروس : إذًا، ماذا حدث؟ لكأن أبيوس كان مرتعا لحماس أشد حميّة عما اعتدناه، وأنت شخصيا يا أستاذى الطيب، بالرغم من روحك السوية...

أبـــيـــوس : حدث ما يلى، لقد أحيا أحد الأموات(*)!...

مريم المجدلية : مَن؟

ســـيلانـــوس : الناصرى والذى جئت، كما وعدتك من قبل، لأنبئك بعودته.

مريم المجدلية : هو عاد؟ منذ متى؟ أين هو؟ رأيته ثانية؟

ســـيلانـــوس : لكى أرد على أسئلتك بالترتيب، يا سيدتى، أقول لك إنه عاد هذا الصباح وإنى رأيته بعينى، وإنه فى هذا الوقت موجود عند جارى سمعان الأبرص. علاوة على ذلك، إن ما يدهشنى أن الهيجان الذى أثار البلد منذ ساعتين أو ثلاث ساعات لم ينتشر قط حتى هنا. حقيقة أن مسكنك منفصل عن المكان الذى فيه يختفى القبر فى تل عال بين غابات من أشجار الزيتون.

مريم المجدلية : أنا لم أسمع شيئا، لم يخبرنى أى أحد بأى شىء.. بالرغم من أوامرى، لم يخبرنى أحد.. ولكن فى النهاية، ماذا إذًا؟.. أبيوس شاحب. ماذا قال، ماذا فعل؟...

أبـــيـــوس : لقد فعل شيئا لم يفعله أى إنسان أو أى رب(**) حتى الآن، شيئا ما كنت لأصدقه حتى ولو أن عشرة آلاف شاهد كانوا قد جاءوا ليؤكدوه باسم الخالدين(***)، والذى أصدقه بقدر ما ينبغى علىّ أن أصدق وجودى الحقيقى، حيث إننى قد رأيته بعينى، كما

(*) إنجيل يوحنا، ١١، ٣٨ – ٤٤. (المترجم)

(**) المقصود أي رب من أرباب الأساطير التى يؤمن الرومان بها. (المترجم)

(***) أرباب الوثنيين. (المترجم)

أراكم هنا، ولمسته بالكاد بيدى مثلما ألمس هذه المزهرية. لقد قال: "انهض، اخرج وامش". والميت نهض وخرج وبدأ يمشى بيننا!...

فيروس : حسب الظاهر أنه كان أحد الأموات الذى لا تبقى له صحته مجالا للرغبة أو التمنى؟...

سيلانوس : كلا، أنا مقتنع بأنه كان ميتا!

ابيوس : حقيقة، كان ميتا مخيفا... وإلاّ ما كانت حواسى تستطيع أن تؤكد أن الشمس تسطع فى الأفق وأن الجسم البشرى يتحلل!... لقد كان فى القبر منذ أربعة أيام!...

مريم المجدلية : ولكن مَنْ؟ كيف؟ أين إذا؟... والناصرى؟... أريد أن أعرف... تحدث بدلا منه، ياسيلانوس، إنه لا يتحكم فى حواسه...

سيلانوس : إليكم ما حدث فى كلمات مقتضبة. مع ذلك يجدر بى أن أقول لكم إنى لا أشارك أبيوس كلية فى دهشته. ما كان لينبغى علينا أن نتعجب كثيرا من رؤية أحد الأموات يعود إلى الحياة، كما نرى طفلا يصل إليها، أى يولد، أو رؤية شيخ يخرج منها، أى يموت. (تصدر من مريم المجدلية حركة تدل على نفاذ الصبر). لكنى أفهم لهفتك لتعرفى. تحدثت إليكم فى اليوم السابق، عن جارى سمعان، فهو يعيش فى منزل صغير بجوار ضيعتى، يعيش مع زوجته، وأخته وزوج أخته، يُدعى ليعازر، ليعَازَر هذا، الذى لم أره سوى مرتين أو ثلاث، لأنه كان كثير الغياب، كان مريضا منذ بضعة أسابيع، ثم توفى منذ أربعة أيام.

ابيوس : أربعة أيام، أنت متفهم جيدا لما أقوله؟... وذلك ما لا يجرؤ أى أحد على أن يعارضه...

سيلانوس : كذلك ما من أحد يفكر فى ذلك يا أبيوس. كانت العائلة متحدة جدا وألم هؤلاء المساكين كان عظيما، من شرفتى، كنت أستمع

إلى نواح النساء. وفقا إلى عادة اليهود، دفنوا ليعازر فى الليلة نفسها التى أعقبت وفاته. دُفن فى قبر جديد، محفور فى الصخور التى يتكون منها منحدر التل فى الجهة الأخرى، وأغلق القبر بحجر ضخم. هذا الصباح فجأة، انتشرت شائعات بأن الناصرى كان قد عاد، وأنه سوف يُعيد الحياة إلى الميت الذى كان صديقهُ. أبيوس الذى كان موجودا عندى، أقنعنى بالنزول، وتتبعنا الجماهير الغفيرة فى وادى القبور.

مريم المجدلية : كنت أعلم أنه ينبغى أن يعود اليوم، ولكن لماذا لم تخبرنى توا لحظة حضوره، كما وعدتنى؟

سـيلانـوس : لقد رأيت أن المشهد الذى كان على وشك الحدوث لن يكون أبدا من تلك المشاهدة الجديرة بأن تتسلط عليها أنظار امرأة فى جمالك. وعلاوة على ذلك، وكان مما يُخشى أن وصولك بين هؤلاء الجماهير الثائرة يُجدّد أعمال العنف مرة أخرى، كما حدث فى اليوم السابق. لأن جمهورا غفيرا، هادئا، وإن كان يرتجف ويطن كطنين الزنابير فى أعشاشها، كان يحرس الناصرى الذى كانت تتقدمه الأختان شقيقتا ليعازر. تسلقنا، أنا وأبيوس منطقة جبلية، مختبئين خلف أكمة، من حيث نستطيع أن نرى كل شىء، ونسمع كل شىء دون أن نثير شكوك اليهود. كانوا يُشيرون إلى القبر للناصرى الذى توقف عنده ثم أحنى رأسه.

ابيـوس : بكى. دار الهمس بين الحشد: "انظروا كم كان يحبهُ" ولكن ما من أحد اجترأ على أن يتقدم أو يقترب. صنعوا حلقة على بُعد، كأنهم حَول إنسان مخيف...

سـيلانـوس : قال الناصرى: "ارفعوا الحجر"، فاندفع رجلان نحو القبر.

ابيـوس : أنت نسيت أنه فى هذه اللحظة، إحدى شقيقات الميت كان يبدو عليها القلق وتذرف الدمع، أمسكت بذراع الناصرى وقالت: "أيها

السيد المسيح، قد يكون أنتّن، لأنه هنا منذ أربعة أيام!" أجاب الناصرى وأنا لم أنس ولا كلمة من كلامه: "ألم أقل لكم إذا كنتم تؤمنون، فسوف ترون عظمة الله؟" ارفعوا الحجر!...

مريم المجدلية : من هى أخت ليعازر تلك؟ هى زوجة سمعان؟

سيلانوس : كلا، إنها الأخرى، التى تسمى مريم، والتى منذ أن أقامت فى بيت عنيا، لم تفارق الناصرى قط.

مريم المجدلية: هل هى شابة؟

سيلانوس : إنها أصغر من زوجة سمعان...

مريم المجدلية : هل رأيتها؟ أتعرفها؟...

سيلانوس : تحدثت إليها أكثر من مرّة. ولكن نعود مرة أخرى إلى الحجر الذى كان ضخما، مُسطحا وراسخا فى الجدار، الرجلان حاولا رفعه بواسطة رافعة. كان صعبا فى البداية، بعد ذلك رُفع كتلة واحدة...

ابيوس : كنا قريبين جدا، منحدرين فى خط متعرج إلى القبر. أقسم بجميع الآلهة الذين يحكمون الأرض من السماء، بأنه فى هذه اللحظة، شعرت بقوة بأنفاس الموت المخيفة تلفح وجهى!...

مريم المجدلية : هل رأيت الميت؟...

ابيوس : كما أراك، يا سيدتى!...

فيسروس : أنا لم أكن أعلم أنك تهتمين بهذه الأمور التى تجرى فى عالم غامض ومجنون، حيث كل شىء مسحور أو يعتمد على السحر، خدع عقيمة وأكاذيب بدائية...

ابيوس : أقسم "بحادس وبيرسيفون"! إن ما تراه حواسنا ليس به شىء خادع، لقد استجبت لها!... كدنا أن ننكفئ على ظهورنا من شدة ما أصابنا من ذهول!... الجثة كانت هناك، تحت الضوء الساطع الذى ينفذ إلى القبر، مُمددة كالتمثال الذى لا هيأة له، متصلبة،

مكتنزة، ملفوفة. بشرائط، والوجه مغطى بكفن. الحشد، المكدس في نصف حلقة لم يستطع أن يقاوم المشهد فتارة ينجذب نحوه وتارة يتراجع وينحنى ويمد رقابه العديدة، دون أن يجرؤ على الاقتراب. الناصرى بمفرده وقف فى المقدمة. رفع يده، وقال بعض كلمات لم أدرك معناها، ثم صاح بصوت لن أنسى أبدا قوته الأخّاذة، مخاطبا الجثة: يا "ليعازر، اخرج!"

مريم المجدلية : وهل خرج؟...

أبيـــــوس : لم نسمع سوى عصف الرياح التى حركت ملابس الحشد الكبير، وطنين الذباب الذى غزا القبر، كل الأنظار كانت شاخصة ومُسلطة بقوة نحو الجثة إلى حد أننى رأيتها وكأنها أشعة ثابتة مثلما نرى أشعة الشمس فى غرفة مظلمة... فجأة، أصبح ذلك واضحا، مخيفا، فوق قدرة البشر! الميت، مُلبيا النداء تهيأ للاعتدال ببطء، ومزق الشرائط التى كانت ملفوفة على ساقيه، اعتدل واقفا، كتمثال، أبيض، موثوق الذراعين، والرأس مغطاة وبخطوات قصيرة متثاقلة، مسترشدا بالضوء، خرج من القبر. الحشد تقهقر خائفا لمسافة دون أن يصرف نظره فقال لهم الناصرى: "حلوا وثاقه ودعوه يمر". شقيقتا الميت، انفصلتا عن الحشد، وسارعتا نحو أخيهما.

مريم المجدلية : وماذا عنه هو؟...

أبيـــــوس : كان يترنح ويتعثر فى كل خطوة...

مريم المجدلية : بل الناصرى؟

أبيـــــوس : ابتعد، ولم يقل أى شىء واختفى فى منزل سمعان.

فيـــــروس : والميت، كيف كان حاله؟...

أبيـــــوس : الأختان ظلتا مذهولتين، لا تفكران فى أى شىء، لا تلويان على شىء، تتحسسان الكفن والشرائط وتقطعانها، ثم سندتا الميت

وساعدتاه على السير، واقتادتاه إلى المنزل نفسه. لم يجرؤ الحشد على أن يتبعوهم إلا بالنظرات، لم يتفوه أحد بأية كلمة، والأختان بدورهما أيضا لم تتحدثا إلى الميت.

مريم المجدلية : والناصرى؟ هل رآه أحد مرة أخرى؟...

سيلانوس : لم يخرج بعد ذلك من عند سمعان. الحشد المضطرب كان ينتظر فى البستان وفى الطرقات، لأنه بعد الدقائق الأولى الطويلة من الذهول حدث رد الفعل وساد الاطمئنان...

ابيوس : لقد كان ذلك شيئا خارقا، أشبه بالمعجزة ذاتها! فى البداية ابتهاج مكبوت مشوش وشبه صامت، بدأ بهمهمة سرت وتنقلت بين أفراد الحشد. ثم كما لو أن الحقيقة قد انفجرت فجأة تحت السماوات كانت لحظة النشوة التى لا توصف والتى تملكت الحشد الهائل وهنا تحول ذلك حينئذ إلى صيحات ليس من السهل التعرف عليها أو تبينها بوضوح، النساء، الأطفال وخاصة الشيوخ، يهللون بجنون. سوف يتسنى لنا القول بأنهم وطؤوا بأقدامهم الموت الذى هزمه واحد من الخالدين وطرحه أرضا للمرة الأولى منذ أن وُجد الإنسان وفى هذه اللحظة أيضا، فى كل المنطقة التى تجاور المقابر، ما تدفق كان حماسا خارقا وخطيرا، وباسم هيرقل! إذا كنا قد نجونا منه دون خسائر، فلن أنصح ألد أعدائى بأن يجازف وينخرط فى هذه المناطق بالرداء الرومانى الفضفاض والأسلحة الرومانية.

فيروس : هل هذا كل شىء؟

ابيوس : ماذا تريد أكثر من ذلك؟

فيروس : كنت أريد أن أعرف ما يثبته كل ذلك.

ابيوس : ذلك يثبت أن هذا الرجل الذى قهر الموت، والذى حتى الآن انتصر على العالم، هو أكبر منا جميعا ومن أربابنا. يتعين علينا

أن نستمع إلى ما يريد أن يقوله لنا وأن نكيّف حياتنا عليه.

سيلانوس : أنا سأكيف حياتى عليه، يا أبيوس، إذا كان ما يُعلمنى إياه أفضل مما تعلمته إن إيقاظ أحد الأموات، من ظلمات قبره إن كان يوضح لنا أنه يمتلك قدرة تفوق قدرة معلمينا، فإنه لا يؤكد أنه - يمتلك أبدا حكمة أكبر من حكمتهم. فلننتظر كل شىء بروح سوية. ليس من الصعب، حتى على طفل صغير، أن يميز، فى الكلام، ما يزيد أو ينقص من حُب الفضيلة. لو استطاع أن يُقنعنى بأن تصرفاتى كانت سيئة حتى الآن، فسوف أصححها، لأننى لا أبحث سوى عن الحقيقة، ولكن إذا استيقظ جميع الأموات الذين تزدحم بهم هذه الأودية، من قبورهم لكى يؤكدوا، باسمه، حقيقة أسمى من تلك التى أعرفها، فلن أصدقهم البتة. أن يستيقظ الموتى أو يناموا، فهم لن يجذبوا فكرى إلا إذا علمونى أن أعُدِّل من نمط حياتى إلى الأفضل.

مريم المجدلية : مرتجفة. - أنصت!...

فيروس : ما هذا؟...

ابيوس : أسمع دحرجة أحجار...

فيروس : بل قل، همهمة حشدٍ ما...

مريم المجدلية : إنه قادم!...

أبيوس، يذهب نحو أعمدة المقدمة فى الرواق. من هنا هيمن من أعلى على حائط سياج الفناء الأول... إنى أراهم!...

مريم المجدلية : شاحبة ترتجف، تتقدم بضع خطوات نحو الساحة، وتنظر إلى بعيد. نعم...

فيروس : تحيط بهم سحابة من الغبار... يبلغ عددهم ألفين أو ثلاثة يتكتلون عند المدخل... أعتقد أن هؤلاء هم الذين كانوا عند القبر...

فيروس : لن تواتيهم الجرأة!...

مريم المجدلية : فيروس !...

ابيـــــوس : لا تخشى شيئا، يا مجدلية، هذه المرة أنا بمفردى سأدافع عنك...

ابيـــــوس : إنهم يتبعون من مسافة رجلا يرتدى ملابس بيضاء، يدخل إلى الساحة...

فـــيــروس : إذًا، ماذا يصنع البواب عند السياج الأول؟.. ألم يوقفه؟...

ابيـــــوس : بلى... ها هو يقترب... ماذا يفعل؟... وكأنما هو خائف... لقد توقف فجأة وتركه يمر دون أن يقول شيئا...

فـــيــروس : والآخرون يتبعونه... دخلوا الساحة الثانية. إن وقاحة هؤلاء اليهود حقيقة لا تُصدق... حتى أثناء أعياد زُحل، فى روما، لا يُسمح للجمهور أن يأتى هكذا يغزو... ماذا يصنع العبيد إذن؟..

مريم المجدلية : إنه هو؟...

سيلانــوس : من؟..

مريم المجدلية : الناصرى؟...

سيلانــوس : لا أعتقد ذلك... ليست تلك مشيته. على الأرجح إن هذا...

ابيـــــوس : ها هو فى ممر أشجار البلاتان..

سيلانــوس : إنه يتجه نحونا مباشرة...

فـــيــروس : لقد سلك الطريق الأقصر. صعد الدرج تحت عريشة نبات البقس. يبدو وكأنه فى داره... من حسن الحظ أن العبيد يسارعون نحوه من كل جهة ليسدوا عليه مدخل الرواق...

مريم المجدلية : أصمت، أرجوك!...

فـــيــروس : ماذا بك؟...

ابيـــــوس : إنه يتقدم، إنه شاحب بطريقة تبعث على الخوف...

سيلانــوس : أعتقد أن هذا...

مريم المجدلية : من؟...

سـيلانـوس : الآخر... ذاك الذى أخرجه من...

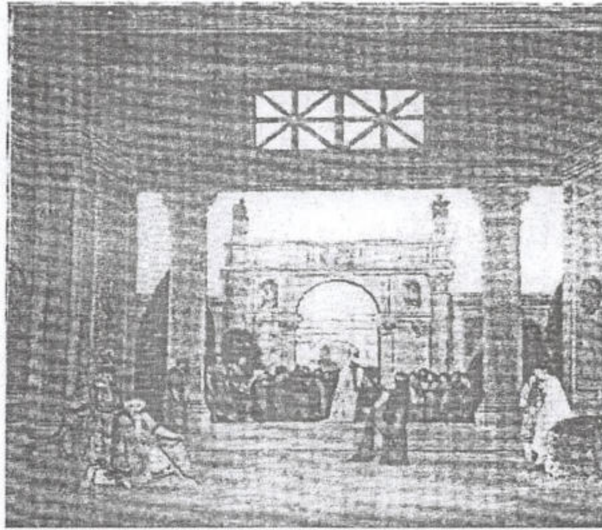
مريم المجدلية : ليعازر؟...

سـيلانـوس : نعم، أنا أعرفه...

فـيـروس : ماذا يريد منا؟ إن الأشباح لا تُطلق هكذا فى وضح النهار!... إنه مخيف!..

مريم المجدلية : بل، صه! صه!.. وبعد!...

سـيلانـوس : ها هو ذا...



مريم المجدلية، ڤيروس، سيلانوس، أپيوس.
ليعازر (إلى مريم المجدلية): "أقبلي، المعلم يريدك".

المشهد الثالث

الأشخاص أنفسهم، ليعازر

في نهاية الرواق، العبيد. وعلى بُعد، على الأرجح الحشد اليهودي، تخمينا وليس يقينا. صمت مطبق. نرى في نهاية الرواق، ليعازر يتقدم ببطء لا يرى شيئا مما يحيط به. عبيد الفيلا، يهرعون بين الأعمدة الأخيرة، يتجمعون لحظة كأنهم يسدون أمامه الممر. ولكن عند اقتراب ذلك الذي بعث من قبره الذي كان يبدو عليه أنه لا يشعر بوجودهم، كانوا يتباعدون بكل هدوء الواحد منهم تلو الآخر. يدخل ليعازر من آخر الساحة، يتوقف عند العتبة التي تعلو بمقدار ثلاث درجات. مريم المجدلية تتقهقر حتى أحد الأعمدة بالصف الأول حيث تستند عليه. وقد أصابها إعياء شديد، ولكن فيروس، خارقًا هذا الصمت، يقترب من ليعازر، ويده على مقبض سيفه.

فيروس : بصوت كله قسوة. من أنت؟... (لم يُجب ليعازر)، أنت لا تجيب؟.. في الواقع من السهل أن نختفي بالصمت ما لا نجرؤ على الاعتراف به. ولكن إذا لم يكن لديك شيء تقوله لنا، فإنك لا داع لوجودك هنا! ومن حسن حظك أن شفقتي تتغلب على ازدرائي. انصرف!

صمت جديد وعميق

لــــيــــعـــازر : بصوت كأنه لم يصبح آدميا بعد، مخاطبا مريم المجدلية. أقبلي، المعلم يريدك..

مريم المجدلية تترك العمود الذى كانت تستند عليه ولكى تقترب من ليعازر، تخطو أربع أو خمس خطوات وكأنها تمشى وهى نائمة.

فـــيـــروس : يعترض طريقها.. إلى أين أنت ذاهبة؟...

مريم المجدلية : كما لو أنها قد أفاقت بصعوبة وبصوت مختنق، مترددة، وهى تبذل جهدها لكى تستعيد ثباتها، دون جدوى.. أينما يريدنى أن...

فـــيـــروس : كلا، ما دمت أنا هنا!...

مريم المجدلية : ملقية بنفسها بين ذراعى فيروس وهى تختلج.. فيروس!...

فـــيـــروس : يضمها بقوة لا تخافى لا شىء سيصيبك وأنت بين هذين الذراعين اللذين يحتويانك. إن جنون هذه الأرض يبدو مُعديا أكثر من طاعونها، ولاصقا أكثر من برصها، ولكن العقل الرومانى لا يترنح مثل العقول الأخرى من أول نفس مُقزز ينبعث من أحد القبور. نحن سوف نحسم الأمر.. (إلى ليعازر)، أنت، أنا لن أمسك بسيفى. إنه يشمئز من الجثث خاصة عندما تتجول وتحترف ما تقوم به أنت.. ذلك من اختصاص العبيد أن يرشدوك إلى طريق القبر. أين هم، العبيد؟ ولكن قبل أن ترحل، تنبه جيدا إلى ذلك، واذهب وقل لمعلمك إن السيدة التى يدعوها - إنه لا يفتقد - باسم الآلهة - لا الجرأة ولا الإرادة! - قد لجأت إلى ذراعى لتحتمى بهما ولتذودا عنها ضد الرقيات السحرية المؤذية لهذا الهمجى وأوهامه الصبيانية، هيا أبلغه على وجه الخصوص ما سأقوله لك، ربما سيفهم: حياته التى لن يطول أمدها بعدما فعله، مصيرها مقترن بهذه اليد التى ستطردك... أنا انتهيت من كلامى. هيا انصرف من هنا، فهى لن تذهب معك.

مريم المجدلية : (تحاول ان تنتزع نفسها من احضان فيروس، بينما انسدل شعرها على كتفيها من جراء هذا الجهد الذى بذلته) بلى!...

فـــــيـــــروس : يمسكها بقوة. - ماذا يعنى ذلك؟.. إذًا أنت تريدين؟... (مريم المجدلية تومئ بحركة لتؤكد ذلك).. أنا لم أعد أفهم شيئا... أو على الأرجح بدأت أفهم جيدا... أنت توافقين، وإنه هو الذى كنت تنتظرينه بلهفة كانت تبدو لى شديدة العذوبة!... لأن من يصدق أن أجمل وأغنى وأعظم سيدة فى قرية اليهودية كلها، هكذا، ستلبى دون تفهم مسبق، أول كلمة، أول إشارة لرسالة غريبة الشكل ومنفرة أرسلها إليها ذلك الذى لم تره سوى مرة واحدة فى حياتها... ذلك شيء يفوق الحد... إنى افهم، إنى أعلم، هيا انصرفى، اتبعيه، بما أنك تحبينه...

مريم المجدلية : كلا..، كلا!... إنك أنت من أحب، أما هو...

فـــــيـــــروس : أما هو؟...

مريم المجدلية : (تنهار منتحبة عند اقدام فيروس) ذلك شيء آخر!...

فـــــيـــــروس : حسنا، انهضى!... أنا لن أمنعك بالقوة. ولكنى ما كنت لأصدق أنك ستصلين إلى هذا الحد... أنا هويت إلى أعماق أحد شراكك اليهودية.. هل ترين هذا الحشد المتموضع هناك، تحت الرواق، الذى يترقب رهائنه؟... أنا لا أريد أن أدنس النقاء الرومانى... أنا لا أحقد عليك لهذا السبب، يا مجدلية... الحب عندى، لا ينطفئ فى لحظة، فأنا عندى وفاء أكثر من المرأة... سوف أرعاكِ.. إنى أعلم الآن أنه بالقضاء عليه سوف أستطيع أن أنقذ تلك التى كان يريد أن يُضيعها.. إنه لا يتوهم مطلقا أنه يدين لى بحياته، لأنى حتى الآن، بشفقة أو بعدم اكتراث، كنت قد تحفظت على الاتهامات التى تتكدس على رأسه... ولكن بما أنه جاء بنفسه ليهاجم سعادتى، أضيف إلى هذه الاتهامات

جميع الأعباء الثقيلة للحب المهان. والآن، هيا انصرفى، مع مرشدك الذى جاء من المقابر. سوف نلتقى عن قريب.

يبتعد ليعازر ببطء فى الرواق. مريم المجدلية، دون أن تنبس بكلمة، أو تبدى أية حركة، أو توجه أية نظرة، تتبعه، فى وسط صمت مطبق لجميع الحاضرين.

أپيوس : (بعد صمت طويل.) لقد رأينا أكثر من حدث لم نر مثله من قبل وحتى هذا اليوم...

سيلانسوس : حقا، يا أپيوس وذلك بدوره لا يقل إثارة للدهشة عن إحياء ميت...

ستار

الفصل الثالث

في دار جوزيف - إريماتي.. قاعة العشاء حيث تناول المسيح العشاء الأخير مع حوارييه قبل صلبه... نوافذ في الخلفية.. أبواب على اليمين وعلى اليسار.. معمار يهودي - روماني - مصابيح مضاءة - كانت نهاية ليلة من ٦ إلى ٧ أبريل.

المشهد الأول

نيقوديموس، جابي الضرائب ليفي، سمعان الأبرص، ليعازر الذي ردت إليه الحياة، كليوفاس، زاكا(*)، الأكمه، باريتماوس، ضرير أريحا، ممسوس كيرسا، معاق بيت عيسدا، المستسق(**) الذي شفي، الرجل ذو اليد اليابسة، حماة سمعان بطرس، مريم كاليوفاس، مريم سالومي، زوجة زيبيدي، سوزان، المبسورة.(***)

كثير من الذين حدثت لهم معجزات غير معروفين، أحدب وأعرج، عميان، مبرصون، معوقون والذين ينتظرون شفاءهم مساكين، ثلاث أو أربع

(*) المولود أعمى. (المترجم)

(**) مصاب بمرض الاستسقاء. (المترجم)

(***) مصابة بنزف من البواسير. (المترجم)

عاهرات،... إلخ. كل هؤلاء الناس واجمون، خائفون، بسبب اعتقال يسوع والإشاعات المتناقلة. يتكدس الجميع فى نهاية القاعة وهم يتمتمون ويتهامسون... تدخل مارتا، أخت ليعازر.

مارتا : (فزعة، تنظر حولها بقلق) لقد رأيته!..

حركة. الجميع يتدافعون حول مارتا...

نيقوديموس : أين هو؟...

مريم كليوفاس : هل تألم؟...

مريم سالومى: ماذا قال؟...

مارتا : أين أختى؟...

مريم كليوفاس : هى مع أمه، فى غرفة المضيف... كانت أمه فريسة للألم العميق...

مارتا : (تذهب إلى إحدى النوافذ) ألم يتبعنى أى أحد؟... كلا، الشارع مُقفر... لقد قمت بدورة طويلة...

نيقوديموس : أين رأيته؟...

مارتا : كان خارجا من قصر حنان... تابعته حتى قاييف... يبدو أنهم يبحثون عنا... يبحثون بصفة خاصة عن ليعازر، الذى رُدت إليه الحياة... أين هو؟...

نيقوديموس : (يشير إلى ليعازر فى الظل) هنا، بيننا...

مارتا : يريدون أن يعتقلوا جميع هؤلاء الذين كانوا يصاحبونه ويتبعونه، يريدون أن يرجمونا وفقا للشريعة... سوف يُطارد كل من يجيئون من الجليل...

كليوفاس : نحن جميعا من الجليل...

أحد الناجين بمعجزة : كلا لست كذلك..

شخص آخر: أنا كذلك، أنا من بيت عنيا.

بارتيماوس : وأنا من أريحا...

أحد الناجين بمعجزة : ليس من المستحب أن يرونا مجتمعين مع بعضنا...

نيقوديموس : أين ستذهبون؟...

أحد الناجين بمعجزة : إلى أى مكان!.. سنكون فى أمان أكثر من هنا...

شخص آخر: وأنا كذلك، كل ما فى الأمر هو أنه شفانى... كنت محنيا وقد جعل ظهرى يستقيم...

شخص آخر : أنا لم أره سوى مرة واحدة، ذلك عندما قال لى آنذاك "انهض، خذ فراشك معك واذهب إلى بيتك". أنا ذلك الذى أنزلونى على مرتبة من خلال فتحة بقرميد السقف... الآن أستطيع أن أمشى مثل الآخرين...

يتوجه إلى الباب ويخرج متبوعا باثنين من الناجين بمعجزة واللذين تحدثا من قبله...

أحد المرضى : إنهم على حق... إن الناس لا يعرفوننا كثيرا... جئت لكى أشفى من سيلان الدم... لم يسعفنى الوقت بأن ألمسه..

يصل كذلك إلى الباب...

مارتا : ألا تخجلوا؟...

المريض : (يقف عند العتبة) مم نخجل؟... لا يفيد فى شىء أن هؤلاء الذين شفاهم يهلكون بسببه...

يخرج.

أحد الناجين بمعجزة : إنه لا يستطيع عمل شىء من أجلنا، بما أنه لا يستطيع عمل شىء بالنسبة لنفسه شخصيا... ونحن لا نستطيع فعل أى شىء له...

شخص احدب: أجل، لماذا لا يدافع عنا؟... إنه يتحدث دائما عن أبيه وعن الملائكة...

نيقوديموس : ذلك أن ساعته لم تحن بعد...

الأحدب : متى ستحين ساعته؟... عندما يفوت الأوان... ليس عندى وقت لأنتظره...

يخرج

نيقوديموس : على هؤلاء الذين لا يحبونه أن يبتمدوا... ابن الإنسان، سوف يأتي في موعده الذى لا تتوقعونه...

كليوفاس : إن مملكته ليست من هذا العالم!...

أحد العميان : مملكته مفقودة!...

نيقوديموس : قال: "إن خمسا من جوائم الطير، لا تساوى آسين(*). الله لا ينسى أحدا..."

كليوفاس : قال: "لا تكونوا معلقين فى القلق!..."

نيقوديموس : قال: "لو أن أى أحد حافظ على كلامى، لن يرى الموت أبدا"

الأعمى : ولكنه قال أيضا: "دعوا الموتى يدفنون الموتى!... "

يصل إلى الباب وهو يتحسس طريقه ويخرج...

الأعرج : إنى أبتعد، ليس خوفا، ولكن لكى أبحث عنه...

أحد العاجزين : وأنا أيضا...

يخرجان

شخص أبرص : من قال إنه ينبغى أن ننتظره هنا؟..

نيقوديموس : سمعان بطرس.

الأبرص : أين يكون، سمعان بطرس؟... إنه لم يظهر قط...

مارتا : كان بالقرب من النيران فى قصر كبير الكهنة...

نيقوديموس : ويوحنا؟...

مارتا : قيل لى إنه كان فى دار حنان...

نيقوديموس : والمعلم، ماذا كان يفعل عندما رأيته؟..

مارتا : لم أستطع رؤيته سوى لحظة واحدة، عندما كان يمر بين أعمدة الرواق... جمع غفير كان يحيط به...

كليوفاس : هل رآك؟...

(*) وحدة نقدية قديمة مفردها آس. (المترجم)

مـــــارتـــــا : أجل، رآنى ونظر إلىّ...

نـيـقـوديموس : هل كان مشغولا...

مـــــارتـــــا : كانت يداه مكبلتين... جنود رومان كانوا يضربونه ليحثوه على السير بسرعة...

مريم سالومى : أوه !...

كـلـيـوفـاس : والآخرون! الاثنا عشر، أين هم؟

مـــــارتـــــا : لا نعرف... لقد تملكهم الخوف... قيل لى أن توماس ويهوذا هربا إلى الجليل...

نـيـقـوديموس : ومريم المجدلية، هل رأيتها؟

مـــــارتـــــا : كلا، ولكن چاك قابلها... إنها منفطرة من الألم، على ما يبدو... كانت تصرخ، وتمزق ثيابها، وتضرب رأسها بالحائط، فى قصر حنّان... بعض الخدم طردوها، ومنذ ذلك الوقت لا يُعرف ماذا كان مصيرها... إنها تهيم فى المعسكر الرومانى كما قال لى أحد المساكين...

نـيـقـوديموس : هل هى تعرف أننا هنا؟

مـــــارتـــــا : نعم، سمعان بطرس قال لها ذلك...

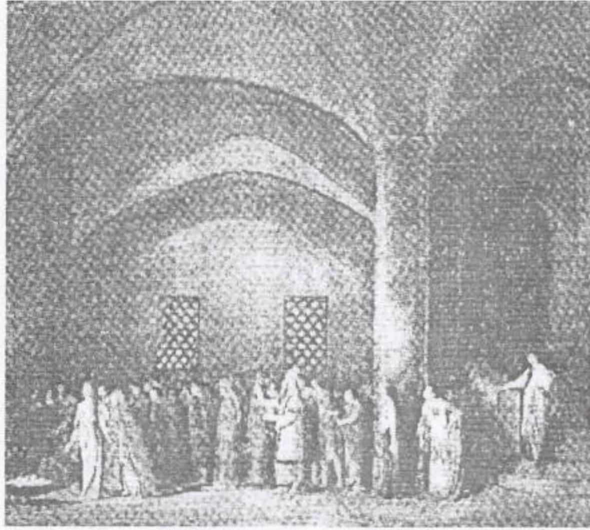
أحـد المرضى : حين تعود، لا تجعلهم يسمحون لها بالخروج مرة أخرى... إنها سوف تسبب لنا حزنا شديدا. إنها متهورة ولا تدرى عواقب ما تفعله...

احد الناجين بمعجزة : هناك من يسير فى الطريق... إنى أسمع صليل الأسلحة... إنهم آتون لإلقاء القبض علينا!... الفرار، الفرار! (إلى نيقوديموس وهو يقترب من إحدى النوافذ). ابتعد عن النافذة، سيتعرفون عليك!...

بـارتـيـمـاوس : سأنصرف، أنا، فلا أحد يعرفنى أبدا، فأنا من أريحا... (يستطلع الطريق بكل حذر)، إنهم اثنا عشر جنديا مع قائد المئة.. هدوء! التزموا الصمت!

نيقوديموس : هل توقفوا؟

بارتيماوس : كلا... هم يمرون... لم يعد هناك أحد فى الطريق... بلى! إنهم قادمون من الناحية الأخرى... اهدءوا... إنها امرأة ومعها أربعة رجال... ولكنى أعرفهم!... مريم المجدلية، چوزيف داريماتى، چاك على ما أعتقد، وأندريه وسمعان لو - زيليه... إنهم ينظرون حولهم... يطرقون الباب.. انزل لكى تفتح لهم...



مريم المجدلية: "ها هى شهور وسنون وأنتم تعيشون فى نوره..."

المشهد الثانى

الأشخاص أنفسهم، مريم المجدلية، چوزيف داريمانى، چاك، أندريه وسمعان لو - زيليه.

مريم المجدلية : (ساخطة، شعثاء، عارية القدمين، ملابسها ممزقة) - كم عددكم؟ هل أنتم مستعدون؟... ماذا فعلتم وأنتم فى انتظارى؟... أنا قادمة من برج أنطونيا... المحامى العسكرى لم يكن فى المعسكر الرومانى، ولكنى قابلت صديقه أپيوس... سوف يرسله لنا، بمجرد أن يعود... ڤيروس قال أنه فى استطاعتنا أن ننقذه... لا أدرى كيف... سوف يفسر لنا ذلك... ولكن لو لم ينقذه، فعلينا نحن أن نقوم بذلك... چاك وسمعان معهم سيوف تحت معاطفهم. أين بطرس؟ أين يوحنا ؟...

مـــارتـــا : رأيتهما فى فناء قصر كبير الكهنة.

مريم المجدلية كان ينبغى عليهما أن يكونا هنا... لابد أن نزيد عددنا... لابد أن يمر بهذا الطريق، وتحت هذه النافذة لكى يذهب إلى پيلاطس...

نيقوديموس : متى؟

مريم المجدلية : هذه الليلة، قبل الوردية الثانية... من منكم معه سلاح؟ أين أخفوه؟

نيقوديموس : ماذا تريدين أن تفعلي؟

مريم المجدلية : أريد أن أخلصه، إذا لم يخلصه فيروس... ذلك يسير، سوف ترى... سوف يغضون البصر عنا، أعرف ذلك... الرومان لا يريدون محاكمته... أبيوس قال ذلك لي، إنهم مترددون. عندما اقتادوه إلى قاييف، لم يكن هناك لحراسته سوى جنديين برتبة رقيب من المعبد وجنديين، مسلحين بالعصى... لو كان معي خمسة أو ستة رجال! لتمكنا من إخفائه، أعرف أين، ولكان تحقق إنقاذه!... ولكني كنت بمفردي!...

چوزيف داريماتي : لا تعتقدي أن ذلك سيكون سهلا، يا مجدلية... كل الشعب هناك مستعد لرجمه...

مريم المجدلية : لكن الشعب معه والجمهور يحبه!... هل نسيت دخوله المظفر!...

چوزيف داريماتي : ليس ذلك نفس الشيء... كانوا يطلقون صيحات الموت أمام قصر قاييف...

مريم المجدلية : كانوا بعض الخدم، وبعض الفرنسيين وبعض الصدوقيين...

چوزيف داريماتي : إن بعض الخدم لا يكفون لكي يغطوا ميدانا عاما إلى سقفه... إنه فعلا الجمهور نفسه، جمهور يوم النصر... كلا، صدقيني يا مجدلية، هو يعرف ما يريد... أراد أن يموت... لقد اعترف بكل شيء..

مريم المجدلية : بم استطاع أن يعترف، بما أنه لم يقترف أي ذنب؟...

چوزيف داريماتي : لقد اعترف بأنه ابن الله وأنه ملك اليهود.

مريم المجدلية : أليست الحقيقة؟

چوزيف داريماتي : دون شك، ولكن كان من الأفضل ألاَّ يعلنها هذه الليلة. في نظر الكهنة والرومان تُعد هذه جريمة يُعاقب عليها القانون...

أحد المعوقين : لابد أنه مذنب ما داموا قد اعتقلوه..

نـيقـوديموس : نحن لا نستطيع أن نفعل أكثر مما يريد ويأمر، وهو قد عزف عن أن يدافع عن نفسه...

مريم المجدلية : ألا ترى إذًا أنه قد فعل ذلك لكى يختبر ثقتك، قوتك وحبك!...

نـيقـوديموس : لقد سبق وتنبأ بذلك أكثر من مرة...

مريم المجدلية : ذلك لأنه كان على يقين من جبن هؤلاء الذين يزعمون أنهم يُحبونه!... آه! إن الرجال يتسمون باللياقة، والبطولة، والزهو! الوحيدون الذين لم يفكروا فى الهرب، هؤلاء الذين أقل خوفا، الأفضل من بينكم، يناقشون، ويتفكرون كما لو كان الأمر يتعلق بمكيال من الحنطة، والنساء يصمتن ويبكين!... حسنا، ما قولكن، يا أخواتى؟... ألم يأن الأوان لتظهرن حبكن؟... وهؤلاء الذين شفاهم، أين هم؟... ماذا يفعلون؟... أنتم هناك، الذين تريدون الهرب، بارتيميه الأعمى، الآخر من أريحا، والثالث من سيلوريه، أنتم حولتم عنى أبصاركم التى ردها إليكم ثانية، لأنى لدى الجرأة على أن أحدثكم عنه!... أنت يا سمعان الأبرص، والآخر الذى من السامّرا... هل نسيتم أنكم من قبله كنتم أكثر بشاعة من الموت؟... أنا لا أرى حولى تماما سوى عجائب تتوارى!... الرجل ذو اليد المتيبسة، والمستسقى فى يوم السبت والممسوس من كيرسا الذى لا يجرؤ على رفع رأسه! ومن بين المعوقين ذلك الذى من بيت حيسدة والذى يسرع نحو الباب والذى لم يستخدم ساقيه إلا ليتخلى عن يسوع الذى شفاه!... حتى هؤلاء الذين جعلهم يخرجون من القبر الخائفون!... إذًا انظروا إلى ليعازر، أكثر شحوبا منكم جميعا! ومع ذلك فقد رأى الموت، ولازمه لمدة أربعة أيام طويلة... هو إذا أكثر صعوبة عن كل ما قيل عنه من قبل حتى الآن أليس كذلك؟... إنكم لا تجيبون؟

صمت مطبق.

جوزيف داريماتى : اسمعى يا مجدلية... أنا لا تنقصنى الشجاعة ولا الإخلاص... بالرغم من سلطة الكهنة، أنا فتحت بيتى لهؤلاء الذين يتبعونه. إنى أعلم ماذا سيكلفنى ذلك... إنى على استعداد أن أضحى من أجله بكل شىء وبحياتى... ولكنى أعرف رغبته ولا أستطيع أن أخالفه... بطرس كان يريد الدفاع عنه وأخرج سيفه... جعله يعيده إلى غمده... كنت فى جيتشمانى.

مريم المجدلية : بما أنك كنت هناك، لماذا إذًا لم تساعد بطرس؟... نحن ننقذ هؤلاء الذين نحبهم، ونستمع إليهم فيما بعد!... إذًا ماذا ستصنع إذا أنت فقدته؟ آه! تلك مضيعة كبيرة للوقت مع هؤلاء الذين يتملكهم الخوف!... ماذا أفعل هنا بين هؤلاء الذين لا يريدون أن يفعلوا شيئا؟... إنى أفقد فرصه الأخيرة ودقائقه الأخيرة... سوف أذهب للقاء فيروس، وبعده، سوف نرى...

تتوجه إلى الباب، جوزيف داريماتى ونيقوديموس يسدان عليها الممر.

نيقوديموس : لا تخرجى، يا مجدلية، سيكون مصيره الموت وسنموت معه...

مريم المجدلية : آه ! تموتون معه، ها هى القضية الكبرى!... انتظروا!..

نيقوديموس : لن تخرجى.

مريم المجدلية : لن أخرج؟... صحيح، تجرؤن على أن تقاتلوا ضد امرأة. لم أكن أتوقع هذه الشجاعة العظيمة، شجاعة الخوف. أنتم جميعا تهزون الرأس مثل سنابل فارغة، والنساء يهللن عند اكتشافهن فى النهاية جبن الرجال الذى ظهر فجأة أكثر وضوحا من جبنهن!

جوزيف داريماتى : أمعنى النظر، يا مجدلية، فكرى فيه وأنه إذا كان يسمعك...

مريم المجدلية : حسنا! إذا كان يسمعنى، سيكون ذلك مثل ذلك اليوم حيث ذاك الذى من بينكم والذى تشبهونه جميعا وجّه إلىّ اللوم لأنى سكبتُ

على قدميه عطرا فاخرا!... هل نسيتم ماذا قال؟... لمن إذًا حكم من منكم هو الذى على حق؟ أنتم لم تفهموا شيئا... وها هى شهور وسنوات وأنتم تعيشون على ضوء النور الذى يشعه من حوله، ولا واحد منكم لديه أدنى فكرة عما فهمته منه وتشبثتُ به لأنى أحببته، أنا التى لم آت سوى بعد الساعة الحادية عشرة، أنا التى انتشلها من حضيض حقير، أحقر من أى عبد، يفوق فى مدى دنائته أى دنىء منكم!...

نيقوديموس : يرهف السمع للضوضاء الآتية من الخارج. اسكتى.. اسمعى.. هناك من يمشى أمام البيت...

بارتيماوس : (من النافذة) إنه رجل يتدثر بمعطف... رومانى... لقد توقف... ودق على الباب... ثم دخل من الباب حيث إنه لم يكن مغلقا.

مريم المجدلية : تجرى نحو باب القاعة - إنه هو، لوقيوس فيروس!... افتحوا له، افتحوا بسرعة!... إنى أسمعه!...

يُفتح باب القاعة ويبدو من خلال فتحته لوقيوس فيروس الذى عند مشاهدته لهذا الجمع الذى يتكون من بعض من تم شفاؤهم بمعجزة والمتسولين والمرضى، يتوقف عند عتبته مشدوها.

المشهد الثالث

الأشخاص أنفسهم، لوقيوس فيروس

مريم المجدلية : تهرع نحو فيروس وذراعاها ممدودتان. - أخيرا أنت، عزيزى فيروس، إنه أنت حقا!... عين تنظر مباشرة إلى وجهى، سيف، كتفان، يد لا ترتعش!... تعال، تعال، ماذا يجب علينا أن نفعل؟... هل رأيته؟... أين نذهب؟... كيف أساعدك؟... كم رجلا تحتاج إليهم؟... أين رجالك؟ إنه ليس بريئا فقط، بل أيضا كم هو طاهر، كم هو سام حتى أن فكر الأرواح لا يسمو إلى مكانته... فهو يتحمل كل شيء، بصدر رحب، تكفيرا عن خطايا العالم، ولكن نحن لا نريد أبدا أن يضحى بنفسه من أجلنا... إن نظرة واحدة من نظراته، وكلمة واحدة من كلامه تساوى حياة جميع الرجال الآخرين...

فيروس : (ببرود) هل كان ينبغى علىّ أن أقابلك هنا؟... من هم هؤلاء... الناس... الذين يحيطون بك؟

مريم المجدلية : إنهم محل ثقة... إنهم يحبونه بقدر ما يحبهم، ولكن يلزمهم قائد... إنه أنت الذى ينتظرونه... فهم سوف يتبعونك إلى أى مكان...

فيروس : (ساخرا) أنا لم أحضر إلى هنا لكى أقود هذه الشرذمة...

الغريبة. لا أعرف ما تقصدينه، هناك سوء تفاهم، هنا ليس أبدا، على ما أعتقد، مكان مناقشته أمام هذا الجمع الغفير من الحاضرين...

مريم المجدلية : أنت على حق... (إلى الآخرين) دعونا... سوف أستدعيكم عندما يتعين علينا أن نتحرك...

يخرجون جميعهم وتظل مريم المجدلية بمفردها مع لوقيوس فيروس.

المشهد الرابع

لوقيوس پيروس، مريم المجدلية.

فـيـروس : (بتهكم) ما هذه الأشكال؟... لم أر قط مثل هذا التجمع من العُرج، من المتشردين ومن المرضى ذوى الرائحة الكريهة ! إذًا ماذا يريدون منك؟... قيل إنك تعيشين بين أناس غير عاديين، الطاعنون فى السن، والأكثر قبحا، والأكثر قذارة، والذين يُسببون العدوى من هؤلاء اليهود الذين سبق وإن كنتِ تسخرين منهم وأنت راضية النفس عند الحكيم سيلانوس، ولكن ما كنت لأصدق أنهم قد بلغوا مثل هذه الدرجة من المعزة من ناحيتك... غير أن ذلك لا يهمنى. ولكنى كنت قد قلت لك من قبل إننا سوف نتلاقى. أپيوس أعلمنى أنك بحثت عنى فى المعسكر الرومانى، فتركت كل شىء لأسارع لتلبية أول نداء منك، كنت أعرف ما يحدث، وكنت أنتظر موعدى...

مريم المجدلية : كم أنت طيب وكريم!... كم أن حضورك وابتسامتك يبعثان الاطمئنان والارتياح!.. لو كنت تعرف، حالة الآخرين!... كانوا يرتعدون جميعهم مثل البوص الذى تحدث عنه مُعلمنا، لقد فاض بى الكيل، وكنت أموت خجلا... ولكننى كنت أعرف أنك ستعود إلينا، والآن، إنه أنت، أسلحتك، وصدرك... يبدو لى أن

روما كلها تحمينا وأن ذراعيك اللذين يستطيعان كل شيء، لا يمكنهما أن يتخليا عنه...

فـــيـــروس : لن يتخليا أبدًا عنك يا مجدلية، البقية لا تتوقف سوى عليك... أنا ربما أكون كريما، ولكن على طريقتى أنا وسينبغى علينا التفاهم... إذا فقد تم اعتقال، مثلما توقعت، ذاك الذى يهمك أمره اهتماما شديدا؟

مريم المجدلية : إنه لم يُعتقل فحسب بل أيضا إن جميع خدم المعبد، وسُوّاس(*) الدواب، ورعاة البقر، وأدنى عبيد المطابخ مُسلطون عليه، شتموه، أهانوه، أساءوا معاملته. ولما كانوا خائفين مذعورين من أن يخاطروا بأنفسهم، فقد استعانوا بالجنود الرومان!

فـــيـــروس : أعلم ذلك... فلنتحدث بوضوح وبإيجاز، أليس كذلك؟

مريم المجدلية : أجل، فنحن ليس لدينا وقت لنضيعه...

فـــيـــروس : فى الواقع، لم يعد الأمر يتعلق باعتقال أو سوء معاملة شبه مبررة، ولكنه يتعلق بموت على وشك الحدوث. لقد قابلت الوالى بيلاطس البنطى...

مريم المجدلية : حسنا، ماذا قال؟

فـــيـــروس : وجدته قلقا، متحيرا، مضطربا، إنه رجل مذبذب، طيب القلب، عدو للمشاجرات والعنف. كان عليه أن يختار الثورة الدامية التى لا يمكن تجنبها من ناحية الكهنة وطوائفهم، أو التضحية بأحد المثيرين للفتن هو من المؤكد يثير القلق ويتسم بالخطورة، وإن كان، وفقا للقوانين روما وعدالتها، ربما لا يستوجب عقوبة الإعدام. أنا تحدثت من منطلق واجبى وضميرى. لم يتردد بعد. اتخذ القرار الأكثر إنسانية والأكثر حكمة. ولما كنت أنا الحارس

(*) مفردها: سائس. (المترجم)

المسلح والمسئول عن السلام الرومانى، فقد وضع بين يدى مصير الناصرى الذى يهمك. ومن جهة أخرى، لابد أن أعترف بأنه قبل لقائنا كنت مزمعا على السماح للأحداث بأن تأخذ مجراها الذى اتخذته...

مريم المجدلية : لقد تم إنقاذه. كنتُ على يقينٍ من ذلك! وكم كنت على حق فى عدم خشيتى أى شىء وأنا كلى أمل عندما لجأت إليك!...

فـيـروس : علينا ألا نتسرع فيما لا يصح. هناك أمور كثيرة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار...

مريم المجدلية : ماذا تقول؟

فـيـروس : أقول إن هناك أمورا مهمة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار... لو كنت غريبا تماما عن الموضوع، ما كان اختيارى أصبح محل شك، ولكنت تخليت عن البائس كى يسود الهدوء العالم مع الإشفاق عليه إلى حد ما، إنه القانون المطلق للإمبراطورية، ولكن الآن..

مريم المجدلية : ولكن الآن الأمر يختلف، أنت تعرفهُ، أنت تعلم... لا يمكن أن نتردد لحظة، سيكون ذلك غير إنسانى ووحشى...

فـيـروس : فى الواقع لا يمكننا أن نتردد، وكما قلت سيكون ذلك وحشيا... لكى أنتزع، من موت محقق، منافسًا أثيرًا، فأنا بذلك سوف أفقد المرأة الوحيدة التى أحبها والتى يمكن أن أحبها؟ من المؤكد أن ذلك ليس ممكنا.

مريم المجدلية : أنا لم أع جيدا ما قلته توا...

فـيـروس : ومع ذلك، فالأمر سهل وواضح... بإنقاذه، فأنا أُسلمك وأنت مسلوبة الإرادة إلى اللص الذى سوف يستدرجك معه، من سقطة إلى سقطة، ولا نعرف إلى أعماق أية هوة من الجنون ومن البؤس، من حيث لا تستطيع أية قوة إنسانية عاقلة أن تنتشلك منها... من ناحية أخرى، بالنسبة إلى ما يخصنى، أفقدك بلا

رجعة، وأسلمك هكذا، بيدى هاتين الساذجتين والحمقيين، لذاك الذى يستولى منى على سعادتى بالوسائل التى ضدها، يوجد رجل لا يزال يحتفظ باسمه رجلا، لم يحاول أن يناضل. فى حين أننى لو تركته لمصيره، فستكون هناك أكثر من فرصة لأراك تعودين إلى النور، وبالنسبة لى، بصيص من أمل فى لقائك فى طريقى، لأن حياتينا لا يزال أمامهما مسافة طويلة عليهما أن يجوباها، وطرق عديدة تعرفينها، تؤدى إلى روما.

مريم المجدلية : فهمت... فهمت، بما أنه يجب أن نفهم جيدا، ولكن لا تعتقد بعد... كلا، ذلك غير ممكن، وأنت لم تأت، مثلما أعرفك، لكى تقول لى بكل برود أنك تريده أن يموت وأن تنتقم لنفسك هكذا من ذنب لم يقترفه... هناك شىء، لابد من أن يكون هناك شىء ما...

فـيـروس : بالفعل هناك شىء آخر، فى الواقع... يبقى لنا، إذا أنت كنت فى حاجة ماسة إليه، وسيلة لإنقاذه... ولكن، حيثما نكون وحيثما أدفع بالمخاطرة، قبل إنقاذه، يُحتمل أنه قد يودى بى، ومن ناحية أخرى، الوقت يمر سريعا. القرار صدر وأنا رأيته. سوف يُنفذ فيه حكم الإعدام عند شروق الشمس، لأن الساعات معدودة بسبب عيد الفصح.

مريم المجدلية : ماذا يجب أن نفعل،... أخبرنى سريعا، سريعا... وأنا سوف أقوم به...

فـيـروس : إن السجين فى حراسة رجالى، إذن، فلا يستحيل، عند اللزوم، أن يتم تهريبه...

مريم المجدلية : أجل، أجل، ذلك يسير، وذلك هو فعلا ما يجب القيام به!... ما أن يتم تحريره سوف يختبئ، ويتم نسيانه... علينا الأ نضيع الوقت... ولكنى لا أفهم لماذا كنت تقول...

فـيـروس : سوف تفهمين حالا... أجيب إذًا بصدد الأسير. هل تدركين ما أفعله، هل تدركين بماذا أجازف لو أطلقت سراحه؟...

مريم المجدلية : جنودك سيصمتون، ولن يعرف أحد أن....

فـيـروس : جنودى لن يستطيعوا أن يسكتوا... عليهم أن يختاروا بين الصمت أو حياتهم. إذن فسوف يتضح أنهم لم يتصرفوا إلا بناء على أمرى، فى هذه الحالة، وليس هناك مثالا حانت فيه مثل هذه الفرصة لأمراء الكهنة وسبق أن تخلوا عنها أبدا لينتقموا من فريسة ما ويُشفوا غليلهم. سوف يشتكون، أولا إلى أنطاكية لحاكم سوريا، ثم إلى قيصر نفسه، والذى عادة ما يستشاط غضبهُ لمجرد ذرة من الشك. أتعرفين ماذا يعنى قيصر؟ ترتعد أمامه فرائص أعظم العظماء وأقوى الأقوياء فى روما، بل يرتجفون أمام ظله... بالنسبة إلىّ لو لم يكن ذلك هو الموت عينه، فهو نفى بعيد عن روما، والموت بالنسبة إلينا - نحن معشر الرومان - أقل ألما عن العزلة والنفى... هاهو ما أعرضه عليكِ، ها هو رهانى، انتظر رهانك أنتِ.

مريم المجدلية : أنت تنتظر رهانى؟... ماذا تريد منى أن أعرض عليك؟... أنا لا أملك شيئا... أنا وزعت كل شىء على المساكين مساء أمس...

فـيـروس : أنا لا أسألك ما يُعطى للمساكين... ثم لقد فاض بى الكيل من هذه المهاترات التى لا فائدة منها وهذه العبارات التى لا تؤدى إلى أى تقدم... آه ! إنى أحمل هم العدالة، وأن يزيد أو ينقص عدد المتسولين واحدا على الأرض، ومهموم بمصيرى أنا ونفيى أنا!.. إذن، أنتِ لم تفهمى أنه أنت التى أريدها، أنت فقط وبكل صفاتك ومنذ سنوات وها قد حانت ساعتى!... وهو ليس توقيتا موفقا، أعلم ذلك، ولم أحلم به أن يكون هكذا!... ولكن ليس عندى غيره وعلى المرء أن يقنع بما يحصل عليه لكى يؤمنٌ

حياته!... ها نحن وجها لوجه أمام جنون كل منا وهو جنون جامح يفوقنا قوة ولا نستطيع التراجع عنه، المقصود هو أن نتفاهم!... بقدر ما تحبينه، بقدر ما أحبك، وبقدر ما تريدين إنقاذه، بقدر ما أريد أنا هلاكه! يتعلق الأمر بالتفاهم!... أنت تريدين حياته، أنا أريد حياتى، وأنت ستعطينه حياته، ولكن أنا سوف أتملكك، أنت قبل أن يفلت من موته... هل هذا مفهوم؟... هل نحن متفقان؟ قولى لى كلا، لو واتتك الجرأة على ذلك، وأن دمه سيقع على تلك التى قادته إلى حيث نكون، ويفقده مرتين!..

مريم المجدلية : آه ! هكذا الأمر إذًا!... أجل، أجل... عرفت، فهمت... لم أكن مدركة وواعية وكنت قد كففت عن التفكير، ولكن كان ذلك مستحيلا... آه! إذًا كان ذلك هو الذى تسبب فى أنه فى الوقت الذى كنت تحدثنى فيه، كنت مفتقدة الثقة بالرغم من ثقتى!... إن الأمر فى غاية الغرابة، وفى غاية الوحشية، وفى غاية البعد عنا!... لابد من بعض الوقت للتأكد من أنفسنا... كل الأفكار أصابها الجنون والنفس تتهاوى، تتهاوى، كحجر يتهاوى فى هوّة... لم نعد ندرك شيئا قط... ولم نعرف بعد مكاننا...

فـــيــــروس : نحن نعرف ذلك تماما، وكل هذا ليس به أى شىء غير عادى... منذ بضعة أيام، ألم تكونى على استعداد لتقُبل الأمر دون تمنع، ولم أفهم سوى اليوم أن ثمن الحب شىء آخر تماما، وأن حياة عزيزة عليك من بين البشر كافة...

مريم المجدلية : آه ! أنت لا تفهم!... ونقول أن الجميع تقريبا، حتى هؤلاء الذين يحبونه، لا يدركون أكثر منك!... هل أكون أنا الوحيدة التى قد نظرت فى أعماق نفسه؟... ومع ذلك فهذا ليس صعبا!... إنه لم يتحدث معى سوى ثلاث مرات فى حياته، ولكنى أعرف ما يفكر فيه، وأعرف كل ما يريده، وأعلم ما هو أكثر عمقا كأنى كنت

بداخله، أو كما لو كان هنا، بجوارى، يُركز نظره علىّ، حيث تنزل الملائكة، وكما فى المساء حيث كنت أقبل قدميه اللتين كنت أجففهما بشعرى.

فـــيـــروس : كنت على يقين من أننى قد وصلت متأخرا جدا ولكنى ما كنت لأصدق أنك ستصبحين بعيدة على هذا النحو... وإذا كان لم يتحدث إليك سوى ثلاث مرات، فهو لم يبدد بلا شك تلك الدقائق، وقال لك أثناءها ما يكفى لانتزاع شكوكى... ولكن فلنكن متعقلين. الأمر يتعلق بشىء آخر غير الحب، وحبيبك شخصيا، لو انه كان قد استُشير، فسوفْ يحكم بأن القبلة لا قيمة لها مطلقا فى وجود الموت... بما أنك تحبينه كثيرا، الا تساوى حياته كدرا طفيفا لم يكن فى الماضى يخيفك بهذا القدر... لو كانت توجد مرآة فى هذه القاعة، لكنت قد تأملت نفسى فيها، بتعُجب لأميّز، ما دفع بى فى غضون بضعة أيام إلى أن أصبح إلى هذه الدرجة مثيرا للاشمئزاز، لكى تفضلى عذاب الرجل الوحيد الذى أحببته، لمجرد ملامسة شفتى. ولكن ماذا الم بك؟... يبدو أن أحدهم قد حدثّك بأمور عجيبة!... ماذا قُلت؟ ماذا فعلت؟... وجهك يتغير... ليس هناك ما يدعوك لكى تنظرى إلىّ هكذا، بنظرات يملؤها الخوف والذهول كأنها تشاهد تهاوى الشمس أو انتهاك قبر ما...

مريم المجدلية : اتركنى!... أنت لا تستطيع أن تفهم... أنا بدأت أفهم فقط...

فـــيـــروس : منذ بضعة أيام، أنتِ كنتِ تفهمين بطريقة أسرع..

مريم المجدلية : بصوت هادئ وبعيد. أجل، أجل... لأننا لا نفهم إلا بالتدريج (وهى تنظر امامها فى ثبات) إن ذلك يجرى بهدوء، كأنه أمر لم تكن له بداية، ولا نهاية، ولا اسم... يوجد هنا موتان، ومعى موتان فى يدى، ذلك ما يشق على بائس وُلد على هذه الأرض...

فـيـروس : موتان؟... ماذا تقصدين؟... أنت لا تنوين على أن تتبعينه؟... إن موتك، بما أنه يحبُك، لا يسعه إلاّ أن يضيف إليه مرارة لا لزوم لها...

مريم المجدلية : بالصوت نفسه الهادئ والبعيد. - كلا... ليس موتى هو ما أحدثك عنه... إنهما موتان آخران... مازلت أتمتع بحكمتى وعقلى... فأنا بصيرة بالأسرار التى فى أعماق الظلمات... دعنى أنظر حيث تعجز أنت عن تبُين أى شىء...

فـيـروس : لم أكن لأصدق أننى عندما حضرت أحمل لكِ خلاصه والتضحية العظيمة التى بذلتها من أجل الحب...

مريم المجدلية : (منفجرة.) التضحية التى بذلتها للحب!... آه ! لو كنت تستطيع أن ترى ذلك الذى تحقق هنا، والذى لا يجرؤ الملائكة أنفسهم على مشاهدته!... ولكن أنت لا تستطيع أن تدرك ما حدث فى الدنيا عندما جاء إليها!... لم تعد هى الدنيا نفسها، ولم يعد ذلك غير ممكن!.. من قَبْله، الأكثر طهارة ما كانوا ليتراجعوا!... من قبله! من قبله! وفضلا عن ذلك، حتى اليوم، أنا التى أحياها، لو لم يكن "هو"، إذًا لكان الأمر يتعلق بآخر، ما كنت سأمتلك القوة!... ربما كنت سوف أقترف إثما ضد كل من يحبه لكى أنقذ من أحب!... ولكنه يمنح قوة هائلة للحب والألم!... كان فى استطاعتى إنقاذه رغما عنه، ولكن ليس رغما عنى! إذا كنت قد حصلت على حياته بالثمن الذى أخبرتنى به، فهو لن ينجو إلاّ بموت كل ما كان يريده، كل ما كان يحبه!... أنا لا أستطيع أن أغمر الشعلة فى الطين لكى أوفر المصباح! لا أستطيع أن أُميته الموتة الوحيدة السامية كما ينبغى كى تكون جديرة به... ولكن انظر إلىّ إذًا، بنظرات أكثر وضوحا وأنت ربما سترى كل ما أراه دون أن أستطيع أن أقوله لك!... لو أننى ضعفت واستسلمت ولو

للحظة تحت سطوة الحب، عندئذ ما قالهُ وفعلهُ ومنحهُ سوف يتهاوى فى أعماق الظلمات، وتصبح الأرض أكثر خواء كما لو لم يكن قد وُلد والسماء تنغلق على البشر إلى الأبد!... إننى بذلك افقده تماما، أنا أخسر أكثر منه شخصيا، لأكسب له أياما، وستكون هذه الأيام مفقودة تماما...

فـيـروس : إن الأمر لا يتعلق بزيادة أيامه، بقدر ما يتعلق بتجنيبه ألوانا من العذاب، تعذيب يكفى مجرد تصوره لجعلك تفكرين.

مريم المجدلية : أعلم جيدا! أعلم جيدا!... مادمت أحبه على هذا النحو كما لو كنا لم نحب بعد على هذه الأرض حيث السماء لم تكن قد نثرت حبها بعد، ألم يكن من الضرورى أن أضحى من أجله بما لم تضح به نفس بشرية من قبلى أنا!... لكنك جئت تطلب كل ما أعطاه، وأن كل ما أعطاه أكثر من حياته ويعيش فى نفوسنا أكثر مما يحيا فى ذاتهُ!... إذا فقدته فى أعماقى فإنى أدمرهُ فى نفوسنا!... لم أعد أعرف، لم أعد أرى أو أعى، لم أعد أسمع... ربما كنت سأفعله لو كانت نفسى وحيدة، ولكن أصبح ذلك مستحيلا والله لن يُريدهُ!...

فـيـروس : إن الخالدين يريدون دائما ما يريدهُ الناس... كونى على يقين بأنه، إذا كان ذاك الذى سوف تُسلمينه إلى التعذيب يستطيع فى هذه اللحظة أن يجعل صوته مسموعا، فلن يتردد أبدا فى أن...

مريم المجدلية : آه! أنا على يقين من أنه لن يتردد مطلقا! لذلك أنا أتخبط كحيوان أعمى حائر بين تضحيتين! إنه حيائى القديم الذى يُثقلنى ويمنعنى أن أصل إلى إرادته!...

فـيـروس : إن الإنسان ليس له سوى إرادة واحدة فى حضرة الموت...

مريم المجدلية : يا إلهى! يا إلهى! أنا لا شىء، لقد تلطختُ بكل رجس، ما أهمية تلك الخطيئة التى تمنح لك الحياة، لكن هل الأمر يتعلق بى

أنا؟... وأليس أنت فقط، أليس المصدر نفسه الذى تنبثق منه منابع كل الطهارات وكل ألوان السعادة وكل الحيوات هو الذى سوف أدنسه اليوم بتدنيسى لخلاصك؟... إنى لا أعرف بعد أين ترجع روحى!... لن يتبقى لى شىء إذا ما فقدته، لن يتبقى لنا شىء إذا أنا أنقذته!...

فيروس : لا شىء يضيع مادامت الحياة باقية...

مريم المجدلية : اصمت، أتوسل إليك!... دعنى بمفردى فى أعماق صمته ورهن إرادته... اتركنى أتأمل وأنصت إلى شىء آخر... إنى لم أحبه بعد كما يريد أن يُحب!... كلما رفعت عينى نحو سمائه، التى تشع نورا، لا أرى سوى آلامه وتعذيبه... وجههُ الثابت، عينيه اللتين تضيئان كل ما يشاهدانه، فمه الذى كان يتحدث بلا توقف عن السعادة... قدماه اللتان قبلتهما، ساكنتان، باردتان... يا فيروس! يا فيروس! الرحمة!... لم أعد أتحمل! لم أعد أتحمل! إنى أتهاوى!... افعل بى ما تشاء!...

فيروس : (يتلقاها بين ذراعيه) يا مجدلية، يا مجدلية!... كنت أعرف...

مريم المجدلية : تقفز إلى الخلف عند ملامسته. كلاً، أنت لم تكن تعرف، والأمر ليس كذلك!... هناك شىء آخر!... يوجد مَخرج!... أن يكون منوطا بأمر هذه اليد البشرية مصير، حياة يسوع المسيح الذى جاء للدنيا!... أعرف، أعرف، أنت لا تؤمن به... ولكن على الأقل ينبغى أن تصدق أنه برىء، وأنت تعرف ذلك أيضا، فهو لم يقترف أى ذنب، حتى إنه لا يعرف ما هو الشر، بما أنه هو الخير كله... إن كل ما فعله هو الشفاء والمداواة، والمواساة والصلاة... إنه لم يفعل شيئا سوى أنه ملّس على الأنفس غامرا إياها بالسعادة... لو أنك عرفتهُ، ولو كان قد تحدث إليك وإن لم يكن ذلك سوى لمرة واحدة!... بما أنه برىء وبما أنك عادل، بما

أنك تملك القوة وبما أنك شجاع، فإنك لا تستطيع أن تسلمه إلى الجلادين دون دفاع... ليس ذلك جديرا بأحد الرومان، أو حتى بإنسان... فيروس، هيا، إنك لست منعدم الإحساس والشعور، وأنت لست وحشا، وستفهم أيضا... ذلك يتوقف عليك... بالنسبة لى، ذلك مستحيل... يوجد هناك سور تدافع عنه ملائكته... لا يمكننى أن أعير... لا ينبغى التفكير فى ذلك.

فـــيـــروس : يكفى هذا، وبما أنه لا فائدة من كل ذلك، فليكن رأيك مثلما أنت مقتنعة به... فلستُ أنا الذى أودى به إلى التعذيب.

مريم المجدلية : تتعلق بملابس فيروس - الذى يخطو خطوة نحو الباب - فيروس! فيروس!... أتوسل إليك!... ليس ذلك كل شىء!... لم يُقال كل شىء بعد!... إن ذلك الأمر لا يمكن أن يُتخذ فيه قرار على هذا النحو!... ولكن لا تطلب الشىء الوحيد المستحيل... سأكون عبدة لك، أريد أن أعيش عند قدميك، أخدمك وأنا جاثية، بقية عمرى، ولكن هب لى حياته دون أن تحطم فى نفسى وفى الأرض قاطبة ما هو الحياة ذاتها لحياتنا الجديدة!...

فـــيـــروس : يكفى هذا!... فضلا عن ذلك، لقد فات الأوان. إن صبرى لإنقاذ منافس ابغضه، أمر لا يقل سخرية عن إصرارك على إنقاذ حبيبك وأنت تجزلين له المدائح وتتغنين بفضائله!... عندما سترينه ميتا قبل ثلاث ساعات من الآن، لا تبكى عليه، خشية من أن دموعك قد ترتد لتلطم وجهك ثانية!... (يلمح جوزيف داريماتى وهو يوارب بحذر باب القاعة من الجهة اليسرى) من هناك؟... هيا ادخل، إنها لمصادفة عجيبة!... لابد لنا من شهود. أين المشعوذون والمتوحشون، والبُرْص؟ يجب أن أخبرهم...

مريم المجدلية : بماذا؟...

فـــيـــروس : سوف يعرفون من الذى سلّم معلمهم! سوف نرى فى الوقت نفسه

أن قلبك سوف يُطاوعك على أن تُجهزي عليه أمامهم، وكيف سوف يتلقون النبأ... ومهما كانوا مُنفرّين كما هم، أريد أن أرى ثانية وجوههم الحقيرة!...

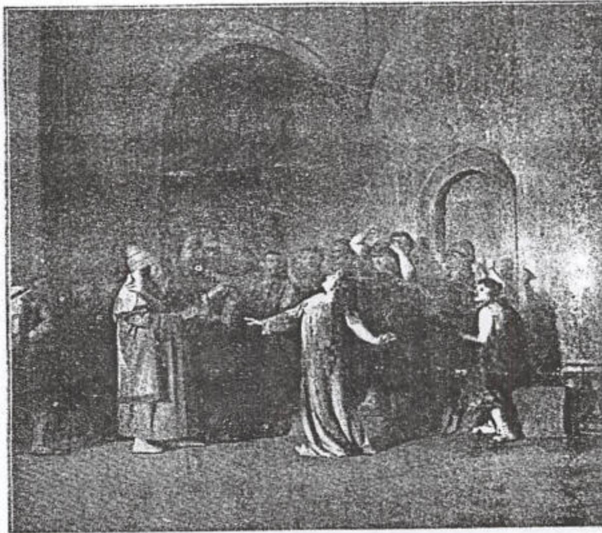
يصل إلى الباب الذى يفتحه على مصراعيه.

مريم المجدلية : تهرع لتوقف حركته - فيروس!... فيروس!... هذا التصرف ليس من شيمتك!...

فيروس : أعرف! أعرف!... أنا لست جديرا بأى شىء، على ما يبدو، ولا حتى بك أنتِ، يا عاهرة!... (ينادى بصوت جهورى) أنتم! أنتم! أنتم الآخرون!... أين أنتم؟... هيا أسرعوا، يا أيها الكُتّع والمقعدون، والمشوّهون، والشحاذون، والمتسولون، والمبرصون، والمعوقون!... عندى أمر مهم لأخبركم به!...

وجوه فزعه تظهر من خلال فتحتى البابين.

المشهد الخامس



«مريم المجدلية، أمام چوزيف داريماتي فى وسط مرضى ومتسولين».

المشهد الخامس

فيروس، مريم المجدلية، ومعظم شخصيات المشهد الثالث تقريبا.

فيروس : هيا ادخلوا، ادخلوا! لا تخشوا شيئا... (يدخلون، وهم وجلون) ها أنتم جميعا؟... كان يُقال إنكم أكثر عددا... إلى أين مضى الآخرون؟

جوزيف داريماتي: سيدى، هناك البعض منهم يخشون من أن الليل...

فيروس : فهمت، كانوا خائفين... حبهم وثقتهم لم يُحققا أهدافهما... عموما، يكفى ذلك... هل ترون هذه المرأة؟... لقد عرضت عليها منذ قليل أن أنقذ مُعلمكم. ما كان عليها إلا أن تقول: "نعم"، قالت: كلا"، إنها تطلب موته. إذًا، سوف يموت عند شروق الشمس.

حركة.

نيقوديموس : ماذا يقول يا مجدلية؟...

مريم المجدلية لا تجيب

فيروس : اسألوها، ستعرفون...

نيقوديموس : يا مجدلية، هل هذا صحيح؟

ج. درايماتى : لكن أجيبينا، هيا!... ماذا بكِ إذًا؟...

فيروس : إنها تفقد وتسلّم فى آن واحد جميع هؤلاء الذين تبعوا المضلّل،

لقد قلت لكم وداعا، حافظوا على أنفسكم.

يتوجه نحو الباب.

ج. درايمـــاتى : (يعترضه، متوسلا) سيدى، أرجوك، لا ترحل هكذا!... إنها على خطأ، سترى... هناك خطأ مخيف... يا مجدلية، لنرى ماذا يقول؟ ماذا تقولين أنت؟... ولكن هذا غير ممكن!... إذًا ماذا حدث؟..

(كثير من المرضى والمتسولين، يحيطون بالمجدلية التى لا تزال ساكنة الحركة، شاخصة ببصرها إلى الفراغ).

يا مجدلية! يا مجدلية!...

شخص أحدب : هى أيضا باعته!... لقد كانت مع الأسخريوطى(*)!...

مـــارثـــا : (تحيط رقبة مريم المجدلية بذراعيها) يا مجدلية!... اسمعينى... كنتِ تحبيننى جدا... أين أنت؟... ليس هذا حقيقيا، أخبرينى؟... أنتِ لم تسمعى...

مريم كليوفاس : (تضع يدها على كتف المجدلية) يا مجدلية! يا مجدلية!... كلا هذا مستحيل... أنت لم تنسى...

أحد المساكين : كم أخذتِ؟

شخص شفي بمعجزة : أجل، كم؟... أين المال؟...

شخص آخر : أعيدى الذهب! أعيدى الذهب! فتشوها!.

مريم سالومى : يا مجدلية! يا مجدلية! إنها مجنونة!

أحد الرعاع : أيتها العاهرة!... يا فتاة الجنود!...

شخص آخر : زانية ! زانية ! زانية !

شخص شفي بمعجزة : الشياطين السبعة الذين قام بطردهم منها عادوا مرة أخرى إلى جسدها.

(*) هو يهوذا الملقب بالإسخريوطى. (المترجم)

آخـــــــــــر : لقد باعتنا كقطيع من البقر!

أحـد المرضى : نحن جميعا سوف نموت!

آخـــــــــــر : أجل، ولكن ليس قبلها!

متليبس اليد : إنها لن تخرج من هنا قبل أن...

أحد المعوقين : على كل حال إنها لن تخرج من هنا حية، أنى أصر على ذلك!...

الجميع تقريبا، يصيحون، يشيرون بحركات ويلوحون بقبضاتهم فى الهواء، ويتسابقون للإحاطة بمريم المجدلية التى لا تزال صامتة وبلا حركة.

ج. داريمـــاتى : يتدخل فى الأمر. هيا، لا تنسوا من أنتم، وأين أنتم وباسم من تتحدثون. (إلى فيروس) سيدى، أرجوك، تحلّى بالصبر... أنا رجل عادل وحكيم وكل شىء سوف يُفسّر... اسمعى يا مجدلية، أنا أكلمك باسمه... مازال الوقت سانحا لتقولى "نعم"... أنى أتحدث بمثابة أب...

صمت مريم المجدلية كما هو، وقد ظلت ثابتة بلا حركة.

الأحـــــــدب : هل ترون بوضوح!... لقد حصلت على الثمن!

انفجار غضب عارم. الجميع يحيطون بها عن قرب، تتعالى صيحات التهديدات، اللعنات، والتوسلات الأنّات، تتضاعف، فجأة، ترتفع من الشارع، ضوضاء صاخبة تسود القاعة. كانت صرخات لجمع غفير حانق يقترب بسرعة، ضوضاء ارتطام أسلحة وخيول. وفجأة كل شىء يهدأ فى القاعة.

صمت تام ومُقلق وينصت الجميع بقلق.

شخص شفي بمعجزة : الرومان!... الجنود!... إنهم قادمون ليعتقلونا!... لقد سلّمتنا إليهم!... فلنهرب!... من هنا، من هنا!.

تسود حالة من الذعر، البعض يركضون بلا هدف حول القاعة بحثا عن مخرج.

أحد المتشردين : كلا، كلا... لا تخرجوا!... لا يوجد سوى باب واحد!... لا يمكننا الهرب!.. سوف يكتشفون أمرنا!

شخص شفي بمعجزة: اصمتوا!... اختبئوا!

أحد المعوقين : هيا! أطفئوا المصابيح!... سوف يَرون الأنوار! سريعا! سريعا! أطفئوا!... تُطفأ المصابيح.

معوق آخر : لا تقتربوا من النوافذ! لا تظهروا بالقرب من النوافذ. انبطحوا بمحاذاة الحوائط!...

فيروس : إن ذلك مشهد نبيل أحرص على مشاهدته حتى النهاية...

ج. داريماتى : يقترب من فيروس. سيدى لا تهلكهم... إنهم ضعفاء ومساكين... جميعهم تقريبا مرضى، إنهم لا يدركون ما يفعلون... اشفق على هؤلاء الناس ولا تحكم عليهم...

(الصيحات: "الموت! الموت!... للمضلَل! للمضلل!... الناصرى!... الجليلى... يريد ان يهدم المعبد!... يريد أن يخرق الشريعة!... أيها المجدِّف... الموت لك! الموت لك! الموت لك!..." تتضاعف فى الشارع وتدوى الآن فى الدار نفسها. الإضاءة الحمراء للشعلات تتغلغل فى القاعة. ضرير أريحا ينزلق إلى إحدى النوافذ ويشاهد ما يجرى بالخارج).

صوت قلق : لا تقتربوا من النوافذ!...

شخص أحدب : (يقترب من نافذة اخرى) ماذا يجرى؟

ضرير أريحا : إنه هو!...

الكثيرون لم يستطيعوا مقاومة الرغبة فى مشاهدة ما يجرى، زحفوا حتى النوافذ، فى حذر شديد. أحيانا يلتفت احد هؤلاء نحو الموجودين فى نهاية القاعة، ليخبرهم بما يرى.

أحد الناظرين من النافذة: إنه مُحاط بالجنود!... يوجد منهم حشد كبير!

شخص آخر : إنه يقترب! يقترب!... يداه مكبلتان! يتعرض للضرب!...

شخص آخر : إنه يبكى!... عيناه تُدميان!...

شخص ثالث : إنهم يقودونه إلى بيلاطس!... ها هما بطرس ويوحنا اللذان يختبئان!...

شخص رابع : لم يعد قادرا على السير!... إنه يترنح!... يترنح!...

فيروس : (موجها الحديث إلى المجدلية التى لم تتحرك وظلت واقفة أمام أحد الأعمدة، فى وسط القاعة، تحدق ببصرها إلى الأمام، دون أن تلتفت نحو النوافذ) يا مجدلية!...

فى الطريق، فجأة، يهدأ الصخب وكأنه جسم ثقيل وضخم يتهاوى. ويسود صمت مطبق.

شخص بالقاعة : ما هذا؟!...

ضريرأريحا : عند النافذة. إنه يسقط!... لقد سقط على الأرض!... إنه ينظر إلى الدار!...

فيروس : يا مجدلية، ما زلتُ عند وعدى لكِ...

مريم المجدلية : (دون أن تتحرك، ودون أن تنظر إلى فيروس بلا غضب، وبكل بساطة، بصوت كأنه قادم من العالم الآخر، نبرته مفعمة بالسلام، بالنور والثقة الإلهية.) انصرف!...

ضريرأريحا : (عند النافذة) إنه ينهض ثانية! إنهم يجرّونه!...

الصخب، وصيحات الموت تعود ثانية متعالية من الشارع، فيروس يخرج ببطء وهو ينظر إلى المجدلية التى ظلت ثابتة، كأنها فى حالة انتشاء، تتسلط عليها أضواء الشعلات، فتسبح فى نورها، وهى تبتعد عنها.

ستار

المؤلف فى سطور:
موريس ميتيرلينك

ولد موريس ميتيرلينك فى ٢ أغسطس ١٨٦٢ فى مدينة على الحدود الفرنسية البلجيكية، وهو ينتمى إلى أسرة ثرية. تعلم فى مدارس اليسوعيين التى تخرج فيها عدد كبير من الأدباء، والتحق بكلية الحقوق فى جامعة دوجان. ثم رحل إلى باريس ١٨٨٦ وتعرف على الأدباء، وقرر بعد الاحتكاك بهم أن يمزق كل كتاباته السابقة، ويبدأ من جديد. وفى عام ١٨٩٥ التقى بالممثلة المسرحية چورچيت لبلان التى لم تفارقه لسنوات طويلة وألهمته الكثير قبل أن يفترقا عام ١٩١٨ ليتزوج من امرأة اخرى رافقته فى كل رحلاته عبر الولايات المتحدة وتونس والجزائر.

وقد منحت جائزة نوبل لميتيرلينك عام ١٩١١ لنشاطه الأدبى المتضاعف ولإبداعه الدرامى المتميز بثرائه وتخيلاته، وعقب فوزه بالجائزة انضم إلى الأكاديمية الفرنسية، لكنه رفض أن يحمل الجنسية الفرنسية. وليس هذا بالأمر الغريب على كاتب برزت الوطنية فى مسرحياته العديدة والكثيرة. ومنها "الملك ألبير" عام ١٩١٥ و«نفايات الحرب» عام ١٩١٦، وغيرهما.

ظل ميتيرلينك ينتقل بين مدن أوروبا، ولكن عقب اندلاع الحرب العالمية الثانية اختار لنفسه منفى فى البرتغال والولايات المتحدة، حيث استقر مقامه حتى عام

١٩٤٧. وقد اهتم فى تلك الفترة بدراسة حياة الحشرات. واكتشف أن هناك علاقة بين هذه الحياة وسلوك البشر. وتبعا لوصية الشاعر فقد تم حرق جثته عقب وفاته فى ٦ مايو ١٩٤٩.

ويقول مارسيل دو جراف إن هناك مرحلتين منفصلتين تماما فى حياة ميتيرلينك: الأولى تتضمن إبداعه قبل أن يفوز بجائزة نوبل عام ١٩١١، وهى مرحلة أساسية مليئة بالانتصارات فى مجالىّ الشعر والمسرح. وبدا هذا فى دواوينه الأولى ومخطوطاته التى نشرها فى المجلات الأدبية باسم مستعار تحت عنوان "العصارات الحارة" المنشورة عام ١٨٨٨. ثم فى أعماله التالية مثل "ست أغان" المنشورة عام ١٨٩٦. و"خمس عشرة أغنية" عام ١٩٠٠. وقد استوحى الشاعر هذه الأغنيات من أمه حين كانت تشدو له وهو لا يزال طفلا.

وفى هذه الأعمال بدأ إعجاب ميتيرلينك بمن سبقوه ممن كتبوا قصصا وأشعارا للأطفال مثل بلوتين وإمرسون. مما دفعه إلى القيام بترجمة أعمال بعضهم إلى اللغة الفرنسية.

وقد امتلأت أعمال الشاعر بروح التفاؤل، وخاصة فى ديوانه "الحكمة والمصير" الذى أشرفت على إصداره رفيقته چورچيت ليلان عام ١٨٩٨. ثم فى أعماله المسرحية مثل "أريان والذقن الزرقاء والأخت بياتريس" عام ١٩٠١ ثم "معجزة سان أنطوان" ١٩٠٤ و "الطائر الأزرق" عام ١٩٠٩، ومسرحية "مريم المجدلية" فى ١٩١٣.

كان ميتيرلينك قد نشر مسرحيته الأولى "الأميرة مالين" عام ١٨٨٩. ولقيت صدى طيبا، لدرجة دفعت الكاتب المعروف أوكتاف ميرابو أن يعتبرها أحسن مسرحية كتبت فى عصرها. وما لبثت أن ترجمت إلى لغات عديدة وأصبحت ظاهرة أدبية، حيث راح العديد من الكتاب يكتبون مسرحياتهم على شرفها فى كل من الدانمارك وألمانيا وروسيا وإسبانيا واليابان.

وتعتبر هذه المسرحية الشعرية بمثابة مرحلة فاصلة فى تاريخ المسرح الفرنسى رغم أن موضوعها مستوحى من الدراما اليونانية القديمة مثل أغلب المسرحيات العالمية. وقد بدأ فيها اهتمام الكاتب بإعطاء رؤية معاصرة لحروب طروادة.

ولموريس ميتيرلينك مسرحية أخرى تحمل عنوان "مونّا فانّا Monna Vanna نشرها عام ١٩٠٢ وفى عام ١٩٢١، أى بعد حصوله على جائزة نوبل بعشر سنوات قدم مسرحية "الأخت بياتريس". ثم تتابعت أعماله التى اختلفت كثيرا فى موضوعاتها، ولغتها الأدبية عن أعماله السابقة، ومنها "حياة الفراغ" عام ١٩٢٨، و"القانون الأكبر" عام ١٩٣٠. ثم "قبل الصمت الأكبر" عام ١٩٣٤، و"الساعة الرمل" عام ١٩٣٦، و"أمام الله" عام ١٩٣٧.

وقد ظل ميتيرلينك يكتب بلا توقف حتى آخر حياته، وبمراجعة قائمة مؤلفاته المسرحية سوف نجدها غزيرة، ليس فقط ما يتعلق بما نشر أثناء حياته، بل لقد تم العثور على الكثير من النصوص المجهولة عقب وفاته فى عام ١٩٤٩.

المترجم فى سطور:

مصطفى كامل خليفة

- حاصل على ليسانس اللغة الفرنسية وآدابها من كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٣.
- حاصل على دبلوم الترجمة الفورية والتحريرية عام ١٩٨٢.
- عمل مترجمًا فى وزارة الداخلية بالقاهرة من اللغة الفرنسية وإليها.
- عمل فى السعودية فى وزارة الدفاع من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩، مترجمًا فوريًا وتحريريًا من اللغة الفرنسية وإليها.
- صدرت له ترجمة لرواية "الآلهة عطشى" للروائى الفرنسى "أناتول فرانس" الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٢١، وصدرت الترجمة عام ٢٠٠٠، من بين سلسلة مشروع ترجمة الأدباء الفرنسيين الحاصلين على جائزة نوبل.
- صدرت له ترجمة أربعة أعمال بالمركز القومى للترجمة عام ٢٠١٠.
- عضو فى اتحاد الكتاب.
- يعمل مترجمًا حرًا فى جميع المجالات حتى تاريخه.

المراجعة فى سطور:

منى على كمال صفوت

- حصلت على الدكتوراه فى الآداب - قسم اللغة الفرنسية - آداب عين شمس.
- تعمل أستاذ ورئيس قسم الدراما والنقد بآداب عين شمس.

البريد الإلكترونى: ashazly@hotmail.com

أهم الأعمال:

١ - ترجمة ومراجعة العديد من الكتب فى إطار مهرجان المسرح التجريبى وعملين للمركز الثقافى الفرنسى وكذلك عملين للمركز القومى للترجمة.

ومن الأعمال التى قامت بترجمتها:

١ - تحليل العروض المسرحية باتريس بافيس

- الجسد والأداء المسرحى.
- الإخراج المسرحى المعاصر.

التصحيح اللغوى: محمد نصر الدين
الإشراف الفنى: حسن كامل